

قَاعِدَةُ جَامِعَتِنَا

فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْوَجْهِ وَالْعَمَلِ لَهُ عِبَادَةً وَأُسْتَعَانَةً

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

دار العباصية

للنشر والتوزيع

قَاعِدَةُ جَامِعَتِنَا
فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَخُلَاصِ الرَّوْحِ وَالْمَسْئَلَةِ عِبَادَةِ وَاسْتِجَانَةِ

③ دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم

قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة /

تحقيق عبد الله محمد البصري — الرياض.

١١٢ ص: ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٦ — ٥٧ — ٧٤٩ — ٩٩٦٠

١ - التوحيد أ - البصيري، عبد الله محمد (محقق) ب - العنوان

1A/.722

ديوي ۲۴۰

رقم الإيداع: ١٨/٠٦٢٢

ردمك: ٦ - ٥٧ - ٧٤٩ - ٩٩٦٠

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

قَالَ الرَّعَصِيُّ

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ۴۹۱۵۱۵۴ - ۴۹۳۳۳۱۸ - فاكس ۴۹۱۵۱۵۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن عقيدة التوحيد وهي عبادة الله وحده لا شريك له هي العقيدة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾ [النحل/٣٦]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء/٢٥]. وعقيدة التوحيد هي الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات/٥٦]. وقد أمر الله سبحانه رسوله محمداً بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا الله الدين الخالص﴾ [الزمر/٢-٣]. وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ [الزمر/١١]. ثم أمر الله رسوله محمداً - كما أمر سائر الأنبياء من قبله - بدعاء الناس إلى عبادة الله وحده وإخلاص العمل له، ونبذ الشرك والخلوص منه، كما قال تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو

فادعوه مخلصين له الدين. الحمد لله رب العالمين ﴿[غافر/٦٥]. وقال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ [غافر/١٤]. وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة/٥]. فقام رسول الله ﷺ بما أمر به، وقام بتبليغ دعوته وأداء رسالته ودعاء الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، ولاقى ﷺ في سبيل دعوته ما لاقى من الأذى والعنت والعناء والمكابدة من قومه ولكنه عليه الصلاة والسلام صبر وصابر فأيده الله بنصر من عنده وأيده بأصحاب آزره وناصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فنصره الله وأعزه وأظهره كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/٩]. فبلغ ﷺ رسالة ربه، وأدى أمانته، ونصح لأُمته، وبالع في حماية جانب التوحيد، وتخليصه من وسائل الشرك وشوائبه، فترك صحابته الكرام على عقيدة صافية خالصة لا تشوبها شائبة من شوائب الشرك، بل تركهم كما قال ﷺ: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١)، وبعد وفاته ﷺ حمل صحابته الكرام رضي الله عنهم مشعل الخير والنور وقاموا بأمر الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، ففتح الله على أيديهم البلاد والقلوب، ونشروا العقيدة الإسلامية في أرجاء المعمورة في فترة وجيزة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، لكن طوائف الكفر والضلال من أعداء الإسلام لم يرضهم الحال

(١) رواه ابن ماجه (٤٦) عن العرباض بن سارية، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١).

فأخذوا يكيدون للإسلام ويخططون لهدمه والقضاء عليه، فظهر الكثير من المؤامرات، فقتل أمير المؤمنين - عمر رضي الله عنه - ثم قُتِلَ عثمان - رضي الله عنه - ثم خرج الخوارج على علي - رضي الله عنه - ثم ظهر التشيع، ثم الرفض، ثم ظهرت القدرية، ثم الإرجاء والتجهم، ثم الاعتزال، ثم الأشاعرة، ثم ظهر التصوف وفرق الباطنية من القرامطة والنصيرية والملاحدة وغيرها من فرق الضلال، ثم ظهر من بعد ذلك ما يعكس صفو توحيد العبادة فظهر التوسل بالصالحين ودعائهم وندائهم عند الشدائد، والتبرك بقبورهم والنذر لها والذبح لها والسفر إليها، وغير ذلك من أنواع الشرك ووسائله، لكن من نعم الله على هذا الدين أن أتمه وأكملته، ثم تكفل بحفظه ونصره إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف/٩]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١)، فعلى مر العصور والأيام يهيء الله لهذا الدين وهذه العقيدة أئمة علماء أعلام يقومون بنصر العقيدة ونشرها والدفاع عنها، ورد كيد الكائدين وعبث المفسدين عنها، ومن هؤلاء الأئمة والعلماء الأعلام: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، الدمشقي، الحنبلي، الذي عاش في الفترة من ٦٦١ - ٧٢٨ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فقد

(١) رواه مسلم (١٩٢٠)، عن ثوبان رضي الله عنه.

تصدى للانتصار لعقيدة السلف أهل السنة والجماعة، وهي المبنية على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقام عليه رحمة الله منتصراً للحق ومدافعاً عنه وناشراً له، قام رحمه الله بلسانه وقلمه وسنانه في وجه أعداء الإسلام، وبالغ في الرد على فرق الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، وصدع بالحق في وجوه الرافضة والصوفية والباطنية من النصيرية والإسماعيلية والاتحادية وسائر الملاحدة وفرق الضلال، وله رحمه الله معهم صولات وجولات، وقد كشف رحمه الله ضلالهم وأبان عوارهم وهتك أستارهم، كما قام رحمه الله بالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وشارك مع المسلمين في حربهم ضد التتار، وأظهر رحمه الله شجاعة فائقة وبطولة نادرة وكانت له مواقف مشهودة وجهود محمودة، وقد أكثر رحمه الله التأليف حتى قال الذهبي رحمه الله: «لا أبعد أن تكون مؤلفاته خمس مائة مجلدة»^(١) قلت: وأغلبها في العقيدة بياناً وإيضاحاً للعقيدة السلفية وردوداً، على خصومها، وقد أودى رحمه الله بسبب جرأته وشجاعته وصدعه بالحق ووقوفه أمام أهل الباطل، وقد أخرج من بلده دمشق، ثم تعرض للسجن مراراً حتى مات مسجوناً بقلعة دمشق، ومع هذا لم يثن عزمه ولم يفت في عضده ولم يؤثر في نشاطه، بل زاده قوة ونشاطاً ورغبة في تصحيح العقيدة وبيانها والدفاع عنها، وقد هيا الله سبحانه وتعالى له تلاميذ مخلصين^(٢) أخذوا علمه

(١) العقود الدرية، ص ٢٥.

(٢) منهم العلامة المحقق شمس الدين ابن القيم الذي سار على نهج شيخه في نصره العقيدة بياناً وإيضاحاً ودفاعاً، وترك رحمه الله مؤلفات نافعة نفع الله بها، وقد طبع =

ونشروه وحافظوا على ما أمكنهم من كتبه، وإن كان بعضها أحرق وأتلف من قبل خصومه، ولكن الله برحمته ومته قد تكفل بحفظ هذا الدِّين وظهوره ونصر أنصاره فظهر الكثير منها بعد وفاة الشيخ رحمه الله، وانتفع المسلمون بها وما يزال المسلمون يتتفعون بها إلى يومنا هذا والله الحمد، فقد طُبِعَ منها - فيما أعلم - ما يزيد على سبعين مجلداً، وما يزال البعض مخطوطاً والبعض مفقوداً.

أَسْأَلُ الله أن يهيء الأسباب لإخراجها وظهورها حتى يعم النفع بها، فقد أتى الله مؤلفها علماً وفقهاً وبياناً قلماً يوجد في غيره، وكان رحمه الله معتمداً فيما يكتب على كتاب الله وسنة رسوله، فسدده الله في أقواله ورزقه الصواب في آرائه، ولاندعي فيه العصمة ولكنها نعمة الله يمن بها على من يشاء من عباده: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وقد رزقه الله بعد وفاته الذكر الحسن والثناء الجميل والدعاء، ولا يزال ذكره الحسن والثناء عليه والدعاء له إلى يومنا هذا، وهذا من علامات الخير والفلاح، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

هذا ومن نعم الله سبحانه وتعالى عليّ أن منّ عليّ بالحصول على

= والله الحمد أكثرها وإن كان بعضها لا يزال مخطوطاً، ومنهم العلامة المحقق محمد ابن أحمد بن عبد الهادي، والعلامة المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، وغيرهم ممن يصعب استقصاؤهم في هذه المقدمة الموجزة، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

نسختين خطيتين لرسالة من رسائل هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة عنوانها: «قاعدة في توحيد الله وإخلاص العمل والوجه له عبادة واستعانة».

ولما كان توحيد العبادة هو أصل الإسلام وقاعدته وهو أصل دعوة جميع الرسل - كما ذكرت في أول المقدمة - ولأن هذه الرسالة القيّمة بيانٌ لهذا التوحيد ودعوة إليه، ولمكانة مؤلفها شيخ الإسلام ابن تيمية ومنزلته العلمية العالية؛ فقد عازمت على تحقيقها وإخراجها ونشرها مساهمة في نشر عقيدة السلف وإحياء التراث السلفي القيم، هذا ولا أخفي قصور باعي وقلة بضاعتي في هذا الميدان، لكنني اجتهدت وبذلت وسعي، فما كان فيه من صواب فمن ربي وله الحمد والشكر، وما كان فيه من قصور وخطأ فمني، وأسأل الله التوفيق والسداد وأسأله أن يلهمني الرشيد والصواب.

هذا ولم أترجم لشيخ الإسلام رحمه الله وغفر له؛ نظراً لشهرته ومكانته المعروفة فقد ترجم له الكثير وكتب عنه دراسات كثيرة بلغت مجلدات، ولعلي في هذه المقدمة قد ألمحت إلى شيء من جهوده وآثاره رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالى الذي منّ عليّ بخدمة هذه العقيدة ونشرها، وأسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا وكل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأسأله أن ينفع به إنه سميع عليم.

ثم أشكر الأخ ماجد بن عبدالله السعيد الذي ساعدني في نسخ مخطوطة الأصل وقام بطباعة «مقدمتي للرسالة» على الكمبيوتر، فجزاه الله خيراً وبارك فيه.

كما أشكر الأخ الفاضل الزميل الدكتور صالح بن محمد العقيل، الذي أخبرني بوجود النسخة الخطية الثانية في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية فجزاه الله خيراً.

كما أشكر أخي عبدالرحمن بن محمد البصري حفظه الله، الذي لا يألو جهداً ولا يدخر وسعاً في مساعدتي، أسأل الله أن يعظم له الأجر والثواب.

وأشكر ابني محمداً أصلحه الله وهداه، الذي ساعدني في المقابلة والتصحيح وقام بطباعة هذه الرسالة على الكمبيوتر، فلجميع الشكر والثناء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

عبدالله بن محمد بن سليمان (البصري)

المدينة النبوية

كلية الدعوة، قسم العقيدة

١٤١٦/٣/٢٨ هـ

وقد قدمت لهذا العمل الأمور الآتية :

- ١ - طبعات الرسالة.
- ٢ - صحة نسبة الرسالة لشيخ الإسلام.
- ٣ - وصف النسخ الخطية لهذه الرسالة.
- ٤ - المصطلحات التي استعملتها في التحقيق.
- ٥ - بيان عملي في هذه الرسالة.



١ - طبعات الرسالة :

هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لم تطبع مستقلة - فيما أعلم - إلا طبعة واحدة عام ١٣٩٩ هـ، في مصر بتحقيق الدكتور/ محمد السيد الجليند، بعنوان: «كتاب التوحيد وإخلاص العمل والوجه له عز وجل»، وهذه الطبعة قد نفذت الآن، كما يوجد بها نقص في مواضع سوف أبينه في موضعه في الحاشية، كما يوجد بها أخطاء مطبعية، وقد طبعت ضمن مجموع الفتاوى الذي جمعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

ولما كان شيخ الإسلام رحمه الله قد تكلم في هذه الرسالة على سورة الفاتحة، ولما كانت هذه السورة العظيمة مشتملة على التوحيد أعظم اشتمال فقد أطال رحمه الله الكلام عليها، وحيث إن الشيخ ابن قاسم رحمه الله لما جمع رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، صنفها ورتبها بحسب الموضوعات فبدأ منها بما يتعلق بالعقيدة ثم بالتفسير ثم الحديث وهكذا، لهذا فإن الشيخ ابن قاسم رحمه الله أخذ الجزء الأول منها وهو ما يتعلق بتوحيد الإلهية وجعله في قسم العقيدة (١/ ٢٠ - ٣٦) وأخذ الجزء الباقي منها وهو الكلام على سورة الفاتحة وهو الكبير فجعله في قسم التفسير (١٤/ ٥ - ٣٦)، وقد ذكر الدكتور الجليند في مقدمته ص ٦٧ أنه لم يطبع منها في مجموع الفتاوى إلا جزء قليل، وذلك بسبب أنه لم يطلع على بقية الرسالة في قسم التفسير، وهذا القسم منها المتعلق بالتفسير قد

طُبِعَ ضمن «دقائق التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي طُبِعَ بتحقيق الدكتور الجليند (١٣٧/٢)، كما طبع ضمن كتاب: «التفسير الكبير» لشيخ الإسلام، الذي طبع بتحقيق الدكتور/ عبدالرحمن عميرة (٢٩٩/٢)، هذا ولما كان في طبعها كاملة ومستقلة ما يسهل على القراء الحصول عليها ويسر الاستفادة منها، فقد عازمت على تحقيقها ونشرها، يسر الله ذلك ونفع به ورزقني المعونة والتوفيق والسداد إنه سميع عليم.

٢ - صحة نسبة هذه الرسالة لشيخ الإسلام رحمه الله :

نسبة هذه الرسائل لشيخ الإسلام رحمه الله صحيحة وذلك لأُمور منها:

١ - ذكرها تلميذه المحقق ابن القيم رحمه الله في رسالته: «مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله» ص ٢٥ بعنوان: «قاعدة جامعة في توحيد الشهادة» ويترجح عندي أنها هي هذه، وإن اختلفت عن العنوان الكامل للرسالة الذي ذكره شيخ الإسلام، لا يعني أنها ليست هي؛ لأن توحيد الشهادة هو توحيد الله، فاختصار العنوان أو ذكره بمعناه لا يدل على عدم صحة النسبة - كما هو معروف - وقد ذكر الشيخ ابن قاسم رحمه الله أنها تسمى «قاعدة في توحيد الإلهية» وجاء على غلاف النسخة (ب): «هذه قاعدة في التوحيد».

٢ - أفاد منها تلميذ المؤلف المحقق ابن القيم رحمه الله في أول كتابيه: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» و«إغاثة اللهفان» ونقل منها

بالنص تارة وبالمعنى تارة أخرى، وتوسَّع في ذلك رحمه الله.

انظر: «طريق الهجرتين ص ٥٥ وما بعدها» و«إغاثة اللفهان ١/ ٣٥-٥٥» وانظر «ص ٣٠ وما بعدها من هذه القاعدة».

٣ - أسلوب الشيخ المتميز واضح فيها؛ لما عرف عنه رحمه الله من قوة الاستدلال ووضوح البيان وسعة الاطلاع.

٤ - ما جاء في أول النسخ كلها أنها لشيخ الإسلام رحمه الله.

٣ - وصف النسخ الخطية :

بتوفيق الله سبحانه حصلت على نسختين خطيتين لهذه الرسالة:

الأولى: وهي الأصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق، حصلت على صورتها من مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله وغفر له وأسكنه جناته.

وهي ضمن مجموع في العقيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهي كاملة، ولكن المجموع التي هي ضمنه ناقص من الأول والآخر، وقد حاولت العثور على بقيته، وذلك لكي أتمكن من معرفة عنوانه وناسخه وتاريخ نسخه، لكنني لم أجده.

وهذه المخطوطة في عشر ورقات ومسطرتها ١٥×٢٠ سم تقريباً، وعدد الأسطر ٢٧ سطراً في كل صحيفة تقريباً وهي بخط النسخ لكل صحيفة وخطها واضح وكبير، سقط منه بعض الكلمات فكان يستدرکها

في الحاشية ويكتب عليها: صح، وهي مضبوطة وقليلة الأخطاء وقد كتب في بعض حاشيتها بخط مغاير عناوين، مثل: مطلب في كذا أو فوائد، لكنها قليلة وسأشير إليها في موضعها، إن شاء الله، وقد اتخذتها الأصل؛ لضبطها وقلة الأخطاء.

الثانية: حصلت على صورتها من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهي مصورة على فيلم رقم ٤٥٦٤، وهي مصورة عن أصلها في جامعة ليدن بهولندا. وهذه المخطوطة ضمن مجموع فيه عدة كتب منها رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد لابن قدامة وهو المطبوع بعنوان: «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، وهذه المخطوطة تقع في ١٤ ورقة ومسطرتها ١٢×٢٠ سم لكل صحيفة، وعدد الأسطر ٢٤ سطر في كل صحيفة تقريباً، وهي بخط النسخ وخطها جيد وقليل الأخطاء، وكتب في الورقة العاشرة: بلغ مقابلة، كما كتب في نهايتها: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأصل بحسب الطاقة والإمكان، سنة ١٣٣٧ هـ، كما كتب في بعض المواضع؛ في الحاشية: لعله: كذا، ولم يظهر لي: هل هي بقلم الناسخ أو بقلم غيره؟ كما كتب على طرتها: قاعدة في التوحيد.

٤ - المصطلحات التي استعملتها في التحقيق :

(أ) نسخة الأصل التي اعتمدت عليها في التحقيق.

(ب) النسخة الثانية، التي صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية.

(ف) طبعة الفتاوى.

(فتح) فتح الباري شرح صحيح البخاري وجميع إحيالات صحيح البخاري عليه.

٥ - بيان عملي في هذه الرسالة :

١ - قمت بنسخ مخطوطة الأصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق ثم قابلته بالنسخة الخطية الثانية وأثبت الفروق بينهما في الحاشية كما قمت بتصحيح النص وتصويبه، وبينت ذلك في الحاشية.

٢ - قابلت النص مع الطبعة المصرية ومع طبعة الفتاوى في بعض المواضع، وبينت النقص الواقع في الطبعة المصرية في الحاشية.

٣ - عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله.

٤ - خرجت الأحاديث والآثار ما أمكنتني ذلك، وذكرت مواضعها من

كتب السنة، وذكرت ما قاله العلماء في الحكم على الحديث بإيجاز.

٥ - شرحت الكلمات الغريبة في النص.

٦ - علقت على المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى بيان وتوضيح.

٧ - وضعت عناوين للموضوعات تسهيلاً للاستفادة منها، وقد

استعنت في ذلك بالطبعة المصرية.

٨ - وضعت الفهارس الآتية:

١ - فهرس الآيات.

٢ - فهرس الأحاديث والآثار.

٣ - فهرس الموضوعات.

نماذج من المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام ابو العباس محمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن محمد الحراني رحمه الله تعالى
 الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صل الله عليه وعلى
 وسلم تسليما كثيرا **فان عبد** جامع في توحيد الله واخلاص الوجه والعمل له عبادة واستغفار
 قال الله تعالى قل اللهم ما لك الملك تولى الملك من تشاء وتغير ما تشاء وتنزل من ينشأ بك الخيرة لك على كل شيء
 قدس وقال لما لم من لعمري ان الله اذا سئل الضمير في الخبر عز وجل وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
 له الا هو وان لم يدرك بحجر فلا راد لفضله وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعير وقال تعالى فاعبدوه وتوكل
 عليه وقال عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى تسبيحه باق السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على
 كل شيء قدير وقال تعالى فاعلم انه لا اله الا هو واستغفر له بنوك والومنين والمومنات وقال تعالى
 قل اني انما نذير مبين ما ادعوا الي الله ان ادعي الله بضره هل هو كاشف ما سئلت ضربه ان ادعي بجره هل هو سميع
 مرجم قل جسي الله عليه يتوكل المومنون وقال تعالى فلا دعوا الذين زعمتم ما دون الله لا يكون مثقال ذرة
 في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من امر ان يدعوا الذين زعمتم ما دون الله لا يكون مثقال ذرة
 وقال تعالى فلا دعوا الذين زعمتم ما دون الله ولا يكونوا كسف الضمير ولا تحويلا اولئك الذين يدعوا بشعور
 الى الهام الواسيلة اليهم اقرب ووجوه حجة ونهاية عذبه ان عذاب ربك كان محذرا وقال تعالى ولا
 تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى وتوكل على الحكي
 الذي لا يوتى ويحكمه وتوكل في تدنوب عباده خبير الخلق السموات والارض وما بينهما ثم استغفر
 الاله وقال تعالى وما امرنا الا لعبده والله مخلصه له الدين خفا ونظاير هذا في القرآن كثير و
 كذلك في الاحاديث وكذلك في اجماع الامة لاسيما اهل العلم والابان منهم فان هذا عندهم قطب رحا
 الدين كما هو الواقع وبيني هذا بوجوه تقدم قبلها مقدمه وكذلك العبد ذكر في سوي الله بل و
 كل مخلوق هو فقير محتاج الى طلب ما يتقنع ودفع ما يضره والمنفعة لله من جنس النفع والضرر
 للضرر والمضر من جنس الالم والمعذب فلا يلزم امر به احدهما هو المطلوب المقصود
 المحبوب الذي يتقنع ويلتذ به الثاني هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والثالث
 ما دفع المكروه وهذا هو السبب في الانفصال الفاعل والغاية فها ان ربح امينا احدهما
 امره ومحبوب مطلوب الوجود والثاني امره مكروه مغيض مطلوب العدم والثالث الوسيلة
 الى حصول المحبوب والرابع الوسيلة الى دفع المكروه فلهذا امر به امر ضروري للعبد
 ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه الا بها واما ليس في الكلام في ما وجب اجرا اذا اتى به
 ذلك فبما فيها من وجوب احدها ان الله هو الذي يجب ان يكون هو المقصود
 دفع المكروه وهو امره هو المكروه وهو المعين عا دفع المكروه فهو بانه يحصل الامور الاربع

الجامع

الورقة الأولى من المخطوطة (أ)

اعلموا سؤل فقد يكونه منفعة وقد يكونه مضرة قال تعالى ويدعو الانسان بالكفر دعاءه به بالخر
 اه الامانة دعوا ولا قال تعالى ولو يجعل الله لنا سارا لشرنا حتى ليم بالحر لفضي اليهم اجلهم و
 قال تعالى عن المشركين لا ذقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
 عذابا عظيما قال تعالى ان يستغيثوا يغاثوا بماء دسسا قال تعالى ادع
 واسأل منها فانهم لا يجيبونهم كثيرا وقال تعالى وانتم تعلمون ان الله لا يهدي القوم الضالين
 ايتهم هو ام الاية وقال في حاكم فيه من بعد ما جال ما جاز من العلم فقل تعالى انزع ابناءنا وابنا
 ونا وادناكم وانفسنا وانفسكم ثم نبطل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لما دخل على اهل الجاهلية فقال لا تدعوا على انفسكم الا بخير فاما الملايكه فيؤمنون على ما تقولون فصل
 قال العبد كما انه فقير الله دانيا في اعانه واجابه دعوته واعطاه سؤل وقضاء حوائجه فهو فوق الملايكه
 نعمه فان يعلم ما يصلح وما هو الذي يقصد ويريد وهذا هو الامر والنهي والشرع والافاضة
 قضيت حاجته التي طلبها وارادها ولم يكن مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان كان حقا في الحال
 فيه لزم ومنفعه فلا اعتبار بالمنفعة الخاصة والراجح وهذا فقد عرفه الله عباده برسوله
 كتبهم علمهم ومن كونهم وامرهم بما ينفعهم ونههم عما يضرهم وينبذهم ان مطلقهم ويقضون
 اشركوا به غير الله حشر حشرنا بيننا وخلقنا لا يعبدون كما انهم هم فيهم وحالهم فيهم ان تركوا عبادة الله او
 مال وغير ذلك وان كانوا فيهم في الله مستعين به في دينهم برؤيتهم فانه ضرر عليهم ولم ينس المبر
 وسؤل الناس وهذا هو الذي يتعلق به الامر بالنهي الشرعي والارادة الدينية الشرعية كما تعلق بالاول الامر
 الكوني القدري والارادة الكونية القدري والارادة الدينية الشرعية كما تعلق بالاول الامر
 لهم هدام بل سأل التسليم وانزل الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعلا كما علمهم وعلى سائر المخلوقين
 له خلقهم وكرمهم وعاقبهم ومن على الخلق بان اعرفهم برؤيتهم وحالهم اليه واعطاهم سؤل
 واجاب دعاهم قال تعالى يسالهم في السموات والارض كل يوم هون شاان في اهل السموات والارض
 سائله فصارت الدرجات اربعة قوم لم يعبدوه ولم يستعينوا وقد خلقهم الله وهم وعاقبهم وقوم
 استعانوا فاعانهم ولم يعبدوه وقوم طلبوا اعبادته وطاعته ولم يستعينوا ولم يتوكلوا عليه والصفوة
 الرابع عبدهم واستعانوا به فاعانهم عبادته وطاعته وهؤلاء هم الذين اعانوا وعلموا الصالحات فقد
 بين سبحانه ما خلق به المؤمنين من قول حبيب الكريم الايمان واليدين في قلوبكم وكروه الكلم والكفر والفسوق
 والتقصين اولئك هم الابرار الذين احرقنا قلعة التوحيد والحمد لله رب العالمين

[illegible][illegible]

الورقة الأولى من المخطوطة (ب)

ولم تكن صلته له كان ذلك من اعليه وان خلق في الخلال فيه لذة ومنفعة فاعبار
 بالمنفعة الخاصة لعل الراجح وهذا هو عرفه الله سبحانه وتعالى وكتبه عليهم وزكاهم
 وامرهم بما ينفعهم ونهىهم عما يضرهم وبين لهم ان مطلوبهم ومقصودهم
 ومحبودهم طلب ان يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وضالهم
 ولهم ان تركوا عبادة اوامر كراهية غير جنس وانما بينوا وضلوا خلافا
 بعيدا وكان ما اوتوا من قوة ومعرفة ورجا ومال وغير ذلك وان كانوا فيه
 فقر الى الله مستعينين به عليهم مقربين برؤوسية فانه ضرر عليهم ولهم ينس المصير
 وسوء الدار وهذا هو الذي تعلق به الامر الديني الشرعي والارادة الدينية
 الشرعية كما تعلق بالاول الامر الكوني القدرى والارادة الكونية القدرية والله
 سبحانه قد انعم على المؤمنين بالاعانة والهداية فانه بين لهم هدايتهم برسالة
 الرسل واتزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعمله كما من عليهم وعلى سائر الخلق
 بان خلعهم وزكاهم وعافاهم ومن على اكر الخلق بان عرفهم برؤوسية لهم وحاجتهم
 اليه واعطاهم سؤلهم واجاب دعاهم قال تعالى يسالهم في السموات
 والارض من كل يوم هو في شأن فكل اهل السموات والارض يسالونه فصارت الدرجات
 اربعة قوم لم يعبدوه ولم يستعينوا ولم يتقوا عليه والصنف الرابع الذين
 عبدو واستعانوا فاعانهم على عبادته وطاعته وهو لادهم الذين انصروا
 امنوا وعملوا الصالحات وقد بين سبحانه ما خص به المؤمنين من قوله
 حسبكم اليكم الايمان نوزينه في قلوبكم ذكره اليكم الكفر والفسق والعصيان
 او ليكنهم الراسدون

تمت بحمد الله وهوزة حسن توفيقه

وصلى الله على محمد واله ورضي

عن اصحابه اجمعين

الورقة الأخيرة من مخطوطة (ب)

بلغ مقابله وتصحيحا

على الاصل بحسب

.....

قَاعِدَةُ جَامِعَتِنَا

فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَاخْلَاصِ الْوَجْهِ وَالْعَمَلِ لَهُ عِبَادَةً وَأُسْتَعَانَةً

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٨ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْدِيرُهُ وَتَحْقِيقُهُ

الدُّكْتُورُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ (الرُّضَيْرِيُّ)

الْأَسْتَاذُ الْمُسَاعِدُ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

[قال الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى] ^(٢):

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً
كثيراً.

[قاعدة [جامعة] ^(٣) في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له
عبادة واستعانة] :

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ
وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ يُبْدِكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/٢٦]. وقال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل/٥٣]. وقال تعالى ^(٤): ﴿وَإِنْ

(١) بعدها في (ب) رب يسر وأعن.

(٢) ما بين القوسين من (أ) وليس في (ب).

(٣) في (ف) جليلة.

(٤) في (ف) ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام/١٧]. ثم قال: وقال تعالى في الآية الأخرى: () ثم
أورد هذه الآية المذكورة هنا في سورة يونس.

يمسّك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴿
[يونس/١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/٥]. وقال
تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود آية ١٢٣]. وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى/١٠]. وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن/١].
وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد/١٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر/٣٨]. وقال
تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ.
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا/٢٢، ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ
ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا.
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابُ رَبِّكَ كَانَ مُحْذُورًا﴾ [الإسراء/٥٦، ٥٧].
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ
عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا.
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا... الْآيَةُ﴾ [الفرقان/٥٨، ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [البينة/٥].

ونظائر هذا في القرآن كثير^(١)، وكذلك في الأحاديث، وكذلك في إجماع الأمة، لاسيما أهل العلم والإيمان منهم فإن هذا عندهم قطب رحا الدّين كما هو الواقع، ويتبين هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة:



(١) في (أ) كثيرة. والمثبت من (ب) وهو الصحيح.

مقدمة في حاجة الجميع إلى الله

وذلك أن العبد بل وكل حي سوى الله بل وكل مخلوق [هو]^(١) فقير [محتاج]^(٢) إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، المنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب، فلا بد من أمرين:

أحدهما: هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به.

والثاني: وهو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه.

وهذان هما [الشيئان]^(٣) المنفصلان، الفاعل والغاية، فهنا أربعة أشياء:

أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

والثاني: أمر مكروه [مبغض]^(٤) مطلوب العدم.

(١) ليست في (ب).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (أ) السبيان. والمثبت من (ب) و(ف).

(٤) في (ب) يبغض. والمثبت من (أ) و(ف).

والثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه أربعة أمور ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، وأما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر، إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه:

أحدها: أن الله هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب [وهو المعين على المطلوب]^(١) وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/٥]. فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب [لكن]^(٢) على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يُستعان به على المطلوب، فالأول من معنى ألوهيته والثاني من معنى [الربوبية]^(٣).

معنى الألوهية :

[إذ الإله]^(٤) هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً،

(١) ليست في (ب) وهي في (أ) و (ف).

(٢) في (ب) يكن. وهو خطأ.

(٣) في (أ) من معنى ربوبيته.

(٤) في (ب) أن لا إله إلا هو الذي يؤله. وهو خطأ.

والرب هو الذي يربي [عبده]^(١) فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [الشورى/١٠].
وقوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/١٢٣]. وقوله: ﴿... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [المتحنة/٤].

وقوله: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده﴾ [الفرقان/٥٨]. وقوله: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/٣٠]. وقوله: ﴿... وتبتل إليه تبتلاً. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ [المزمل/٨، ٩].

فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين.

□ الوجه الثاني :

أن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له؛ فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء [يعطيهم في الدنيا]^(٢) أعظم من الإيمان به، وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم [إياه]^(٣) كحاجتهم وأعظم من خلقه لهم وربوبيته إياهم، فإن ذلك هو

(١) في (ب) عبده. وهو خطأ.

(٢) في (ب) ولا شيء في الدنيا. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٣) ليست في (ب).

الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولاصلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال؛ بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقوله: (لا إله إلا الله) هو رأس الأمر.

فأما توحيد الربوبية الذي أقرب به الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم، وهذا معنى ما يروى: «يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقتك لك عما خلقتك له»^(١).

واعلم [أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً]^(٢) كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم إن فعلوا ذلك أن لا يعذبهم»^{(٣)(٤)}.

(١) لم أجده.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) رواه البخاري ٣٥٩/١٣ رقم (٧٣٧٣) في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم رقم (٢٩) ٥٨/١ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٤) هذا الحديث ساقط بتمامه من الطبعة المصرية، انظر ص ٧٥ من الكتاب المذكور.

وهو يحب ذلك ويرضى به ويرضى عن أهله ويفرح بتوبة من عاد إليه، كما أن في ذلك لذة [العبد]^(١) وسعادته ونعيمه.

وقد بينت بعض معنى محبة الله لذلك وفرحه به في غير هذا الموضع^(٢)، فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسد لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ آكل الطعام المسموم: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ [الأنبياء/٢٢]. فإن قوامهما بأن تأله الإله الحق؛ فلو كان فيهما آلهة غير الله لم يكن إلهاً حقاً، إذ الله لاسمي له ولا مثل، فكانت تفسد لانتفاء [ما به]^(٣) صلاحها، هذا من جهة الإلهية، وأما من جهة الربوبية فشيء آخر كما يقرره في موضعه المتكلمون.

حاجة العبد إلى عبادة الله:

واعلم أن فقر العبد إلى [..]^(٤) أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ليس له

(١) في (ب) السعيد. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٢) لعل ابن تيمية رحمه الله يشير إلى رسالته (قاعدة في المحبة) وهي رسالة جليلة الشأن في بابها، وقد طبعت ضمن المجلد الثاني من مجموعة رسائل ابن تيمية بتحقيق د/ محمد رشاد سالم، ثم طبعت مستقلة.

(٣) ليست في (ب).

(٤) في (ب) زيادة (الله) وكذلك في (ف).

نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو؛ فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، فهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له؛ بل قد [يؤذيه]^(١) اتصاله [به]^(٢) ووجوده عنده [ويضره]^(٣) ذلك.

وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا أَحَبُّ الْآفَلِينَ﴾ [الأنعام/٧٦]. وكان أعظم آية في القرآن: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ [البقرة/٢٥٥]. وقد بسط الكلام في معنى القيوم في موضع آخر^(٤)، وبيّنا أنه الدائم الباقي الذي لا يزول ولا يعدم ولا يفنى بوجه من الوجوه.

(١) في (ب) يورثه. والمثبت من (أ) و(ف).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب) يضر.

(٤) لم أجد ما يشير إليه المؤلف رحمه الله فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبه.

واعلم أن هذا الوجه مبني على أصليين:

أحدهما : أن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقول من يعتقد أهل الكلام ونحوهم أن عبادته تكليف ومشقة وخلاف مقصود القلب؛ لمجرد الامتحان والاختبار، أو لأجل التعويض بالأجر كما يقوله المعتزلة وغيرهم، فإنه وإن كان في الأعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس، والله سبحانه يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة كما قال: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة... الآية﴾ [التوبة/ ١٢٠]. وقال ﷺ لعائشة: «أجرك على قدر نصبك»^(١).

فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعي وإنما وقع ضمناً وتبعاً لأسباب ليس هذا موضعها، وهذا يفسر في موضعه^(٢)؛ ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة

(١) نصبك: النصب: التعب؛ والمعنى أن الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، والمراد النصب الذي لا يذمه الشرع وكذا النفقة. قاله النووي، انظر شرح صحيح مسلم ٨/ ١٥٢ - ١٥٣، وفتح الباري ٣/ ٧١٥. وهذا الحديث أصله في البخاري في عدة مواضع منها: ١/ ٤٧٧ رقم (٢٩٤)، ٣/ ٧١٥ رقم (١٧٨٧)، وفي مسلم ٢/ ٨٧٦ - ٨٧٧. وهذه الرواية أخرجهما الدارقطني في سننه ٢/ ٢٨٦، والحاكم في المستدرک ١/ ٤٧١-٤٧٢.

(٢) انظر ما يحيل إليه المؤلف رحمه الله في الفتاوى ١٠/ ١٢٢-١٢٤، ٢٥/ ١٨١-١٨٣.

والمتفقهة، وإنما جاء في القرآن ذكر التكليف في موضع النفي كقوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة/٢٨٦]. ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ [النساء/٨٤]. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ [الطلاق/٧].

أي وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع، لأنه يسمي جميع الشريعة تكليفاً، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله، والإنابة إليه، وذكره، وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبداً ﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾ [مريم/٦٥]. فهذا أصل.

الأصل الثاني: أن النعيم في الدار الآخرة أيضاً به^(١) مثل النظر إليه، لا كما تزعم طائفة من أهل الكلام ونحوهم أنه لانعيم ولا لذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح ونحو ذلك، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء المأثور: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»^(٢) رواه النسائي وغيره^(٣).

(١) به: أي بالله.

(٢) من هنا إلى قوله فيما يأتي: «وقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا» ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص ٧٩ من الكتاب المذكور، وقد جعلت السقط بين قوسين.

(٣) رواه النسائي في السهوباب الدعاء بعد الذكر ٤٧/٣، وأحمد في المسند ١٩١/٥، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٢٣٧).

وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، [...]»^(١) ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة»^(٢).

فبين النبي ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم؛ لأن تنعمهم به وتلذذهم به أعظم من التمتع والتلذذ بغيره، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحسوب، فكل ما كان الشيء أحب إلى الإنسان [كان حصول لذته]^(٣) وتنعمه به أعظم، وقد روي: «إن يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة»^{(٤)(٥)}.

(١) في (أ) زيادة (ويثقل موازيننا) وليست في صحيح مسلم ولا بقية النسخ.

(٢) رواه مسلم ١٦٣/١ رقم (٢٩٧-٢٩٨) في الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) في (ب) كان حصوله لذته.

(٤) في (ب) و(ف): وروي أن يوم الجمعة يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة.

(٥) جاء ذلك في حديث طويل وفيه: «إن يوم الجمعة هو يوم المزيد وفيه يرى المؤمنون ربهم في الجنة». رواه الإمام الشافعي في مسنده ١٢٦-١٢٧، وأبو يعلى في مسنده

٧/٢٢٨-٢٢٩، وابن منده في الرد على الجهمية ص ١٠١، والدارقطني في الرؤية

ص ١٧٢ وما بعدها، والأجري في الشريعة ص ٢٦٥ من عدة طرق عن أنس،

والطبراني في الأوسط: مجمع البحرين رقم (٩٤٤)، والبزار: كشف الأستار رقم =

وقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمُئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين/١٥، ١٦]. فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب، ولذة النظر إلى وجهه أعلى اللذات^(١)، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم منه تعالى.

وهذان الأصلان ثابتان في الكتاب والسنة وعليهما أهل العلم والإيمان، ويتكلم فيهما مشايخ الصوفية العارفون، وعليهما أهل السنة والجماعة وعوام الأمة، وذلك من فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد يحتجون على من ينكرها بالنصوص والآثار تارة، وبالذوق والوجد أخرى - إذا أنكر اللذة - فإن ذوقها ووجدها ينفي إنكارها، وقد يحتجون بالقياس [والأمثال]^(٢) تارة وهي الأقيسة العقلية.

= (٣٥١٩)، قال الهيثمي في إسناده الطبراني: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٦٣/٢ - ١٦٤ وقال: رجال أبي يعلى ثقات رجال الصحيح، وإسناده البزار فيه خلاف. مجمع الزوائد ١٠/٤٢١. وأورده ابن القيم في حادي الأرواح ص ٣٠٥، وقال: هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده... ثم أورد طريقه.

(١) استدلل الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على رؤية المؤمنين ربهم. (انظر حادي الأرواح لابن القيم ص ٢٨٤).

(٢) في (ب) و(ف) في الأمثال. والمثبت من (أ).

□ الوجه الثالث :

أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا [نصر]^(١) ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل؛ بل ربه هو الذي خلقه ورزقه وبصره وهده وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسه الله بضر لم يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، والعبد فلا ينفعه^(٢) ولا يضره إلا بإذن الله، وهذا الوجه [أظهر من الأول للعامة]^(٣) ولهذا خوطبوا به في [القرآن]^(٤) أكثر من الأول؛ لكن إذا تدبر اللبيب طريقة القرآن وجد أن الله يدعو عباده بهذا الوجه إلى الأول، فهذا الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به [ودعائه]^(٥) ومسأله دون ما سواه، ويقتضي أيضاً محبة الله وعبادته؛ لإحسانه إلى عبده وإسباغ نعمه عليه وحاجة العبد إليه في هذه النعم، لكن إذا عبدوه وأحبوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه دخلوا في الوجه الأول.

ونظيره في الدنيا من نزل به بلاء عظيم أو فاقة^(٦) شديدة أو خوف مقلق، فجعل يدعو الله ويتضرع إليه حتى فتح له من لذيذ مناجاته وعظيم الإيمان به والإنابة إليه ما كان أحب إليه من تلك الحاجة التي

(١) في (ب) نصير.

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: «وأن العبد فلا ينفعه ولا يضره...» وهو الأصح.

(٣) في (ب) و (ف) أظهر للعامة من الأول. (٤) ساقطة من (ب).

(٥) في (أ) و (ب) (والدعاء له) والمثبت من (ف) وهو الصحيح.

(٦) الفاقة: الفقر والحاجة، مختار الصحاح (فوق).

قصدها أولاً، لكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يقصده ويشتاق إليه.

والقرآن مملوء من ذكر حاجة العباد إلى الله دون ما سواه، ومن ذكر نعمائه عليهم، ومن ذكر ما وعدهم في الآخرة من صنوف النعيم واللذات، وليس عند المخلوق شيء من هذا، فهذا الوجه يحقق التوكل على الله والشكر له ومحبته على إحسانه.

□ الوجه الرابع :

أن تعلق العبد بما سوى الله مضره عليه إذا أخذ منه القدر الزائد على حاجته في عبادة الله، فإنه إن نال من الطعام والشراب فوق حاجته؛ ضره وأهلكه، وكذلك من النكاح واللباس، وإن أحب شيئاً حباً تاماً بحيث يخالقه؛ فلا بد أن يسأمه أو يفارقه^(١)، وفي الأثر المأثور: «أحب [من]^(٢) شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه، وكن كما شئت فكما تدين تُدان»^(٣).

واعلم أن كل من أحب شيئاً لغير الله فلا بد أن يضره محبوه،

(١) من هنا إلى قوله فيما يأتي: (الوجه الخامس) ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص ٨١ من الكتاب المذكور، وهو موجود في المخطوطتين وفي الفتاوى ١/ ٢٨ - ٢٩.

(٢) في (ب) ما.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن جاء الشطر الأول منه في حديث رواه أبو نعيم في الحلية ٢٠٢/٣ عن علي رضي الله عنه، وجاء الشطر الأخير منه في حديث رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٧٩ من حديث أبي قلابة مرسلًا.

ويكون ذلك سبباً لعذابه: «ولهذا كان الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يمثّل لأحدهم كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه^(١)، يقول: أنا كنزك، أنا مالك»^(٢).

وكذلك نظائر هذا، وفي الحديث يقول الله يوم القيامة: «يا ابن آدم أليس عدلاً مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا»^(٣).

وأصل التولي^(٤): الحب، فكل من [تولى شيئاً]^(٥) دون الله؛ ولأه الله [يوم القيامة]^(٦) ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً، فمن أحب

(١) لهزمتيه: بكسر اللام وسكون الهاء بعدها زاي مكسورة، وقد فسر في الحديث بالشدقين، وقيل: هما العظمان الناتئان في اللحين تحت الأذنين (فتح الباري ٣/٣١٧-٣١٨).

(٢) رواه البخاري في الزكاة باب إثم مانع الزكاة ٣/٣١٥ رقم (١٤٠٣)، ومسلم في الزكاة رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، لكن أخرج الطبراني عن ابن مسعود وأبي موسى نحوه. انظر مجمع الزوائد ١٠/٣٤٠-٣٤٣، وأصل الحديث في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد في حديث طويل وفيه (يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر...). وفي رواية «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد...» انظر جامع الأصول ١٠/٤٤٠-٤٤٧.

(٤) في (أ) في الحاشية: ذكر أصل التولي.

(٥) في (ب) فكل من أحب شيئاً.

(٦) زيادة من (ب) و(ف).

شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، وإن فقد [عذب]^(١) بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار والاستقراء: كل من أحب شيئاً دون الله [لغير الله]^(٢) فإن مضرته أكثر من منفعته، فصارت المخلوقات وبالأعلى عليه إلا الله، وهذا [يحقق]^(٣) معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه» رواه الترمذي وغيره^(٤).

□ الوجه الخامس :

أن اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته، فإنه يخذل من تلك الجهة، وهذا أيضاً معلوم بالاعتبار [والاستقراء، فما علق]^(٥) العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال تعالى: ﴿واتخذوا

(١) في (أ) تعذب. والمثبت من (ب) و(ف).

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).

(٣) ليست في (ب).

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه رقم (٤١١٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ ناصر الدين في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٨). قلت: المقصود بالملعون هنا من الدنيا هو ما فيها من الفواحش والمنكرات وما يصد عن الله وعن ذكره، وأما ما فيها مما أحله الله وأباحه من الطيبات والرزق الحلال إذا استمتع به المسلم وجعله معونة على طاعة الله وذكره؛ فلا يدخل في الوعيد بل هو مما يوالي ذكر الله. والله أعلم.

(٥) في (ب) واستقراء، ما علق.

من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ﴿[مريم/ ٨١، ٨٢].

وهذان الوجهان في المخلوقات نظير العبادة والاستعانة في الخالق، فلما قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كان صلاح العبد في عبادة الله واستعانتته، وكان في عبادة ما سواه واستعانتته بما سواه مضرته وهلكته وفساده.

□ الوجه السادس :

أن الله سبحانه غني حميد كريم واحد رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير ويكشف عنه الضرر، لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة، بل رحمة وإحساناً، والعباد لا يتصور أن يعملوا إلا لحظوظهم، فأكثر ما عندهم للعبد أن يحبوه ويعظموه ويجلبوا له منفعة ويدفعوا عنه مضرة ما، وإن كان ذلك أيضاً من تيسير الله سبحانه، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لحظوظهم من العبد، إذا لم يكن العمل لله، فإنهم إذا أحبوه طلبوا أن ينالوا أغراضهم من محبته، سواء أحبوه لجماله الباطن والظاهر.

فإذا أحبوا الأنبياء والأولياء وطلبوا لقاءهم فهم يحبون التمتع برؤيتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك؛ وكذلك من أحب إنساناً لشجاعته أو رياسته أو جماله أو كرمه؛ فهو يحب أن ينال حظه من تلك المحبة، ولولا التذاده بها لما أحب، وإن جلبوا له منفعة كخدمة أو مال، أو

دفعوا عنه مضرة كمرض وعدو، ولو بالدعاء والثناء؛ فهم يطلبون العوض إذا لم يكن العمل لله، فأجناد الملوك وعبيد المالك وأجراء [الصانع]^(١) وأعوان الرئيس، كلهم إنما يسعون في نيل أغراضهم، لا يعرج أكثرهم على قصد منفعة المخدم؛ إلا أن يكون قد علّم وأدّب من جهة أخرى، فيدخل ذلك في الجهة الدينية، أو يكون فيه طبع عدل وإحسان من باب المكافآت والرحمة، وإلا فالمقصود بالقصد الأول هو منفعة نفسه.

وهذا من حكمة الله تعالى التي أقام بها مصالح خلقه [إذ قسم]^(٢) بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

إذا تبين هذا ظهر أن المخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد منفعته بك، وإن كان ذلك قد يكون عليك فيه ضرر إذا لم يراعِ العدل، فإذا دعوته فقد دعوت من ضره أقرب من نفعه، والرب سبحانه يريدك لك، ولمنفعتك بك، لا ينتفع بك، وذلك منفعة لك بلا مضرة.

فتدبر هذا، فملاحظة هذا الوجه يمنعك أن ترجو المخلوق أو تطلب منه منفعة لك، فإنه لا يريد ذلك بالقصد الأول، كما أنه لا يقدر

(١) في (أ) الصانع. والمثبت من (ب) و(ف).

(٢) في (ب) وقسم.

عليه، ولا يحملك هذا على جفوة الناس وترك الإحسان إليهم واحتمال أذاهم، بل أحسن إليهم الله لا لرجاهم، وكما لا تخفهم فلا ترجهم، وخف الله في الناس ولا تخف الناس [في الله]^(١)، وارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وكن ممن قال الله [فيه]^(٢): ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تujزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى﴾ [الليل/ ١٧ - ٢١]. وقال فيه: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ [الإنسان/ ٩].

□ الوجه السابع :

أن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك وإن كان ذلك ضرر عليك، فإن صاحب الحاجة أعمى لا يعرف إلا قضاءها.

□ الوجه الثامن :

أنه إذا أصابك مضرة كالخوف والجوع والمرض؛ فإن الخلق لا يقدرّون على دفعها إلا بإذن الله، ولا يقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك.

(١) ساقطة من (ب).

(٢) زيادة من (ب) و(ف).

□ الوجه التاسع :

أَنَّ الخلق لو اجتهدوا أَنَّ ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر [قد]^(١) كتبه الله لك، ولو اجتهدوا أَنَّ يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك، فهم لا ينفعونك إلا بإذن الله، ولا يضرونك إلا بإذن الله، فلا تُعَلِّق بهم رجاءك ولا خوفك، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَنْدٌ لَّكُمْ يَنْصَرِكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [تبارك/ ٢٠ - ٢١].

والنصر يتضمن رفع الضرر، والرزق يتضمن حصول المنفعة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش/ ٣، ٤]. وقال: ﴿أَوَلَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص/ ٥٧]. وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ... الْآيَةُ﴾ [البقرة/ ١٢٦]. وقال النبي ﷺ: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم»^(٢).

(١) ليست في (ب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٦) ١٠٤/٦ في الجهاد باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، عن سعد بن أبي وقاص، دون ذكر الإخلاص؛ وهذه الرواية للنسائي في سننه ٣٨٣٧/٦ في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف.

فصل

جماع هذا أنك إذا كنت غير عالم [بمصلحتك] ^(١) ولا قادر عليها ولا
 مرید لها كما ينبغي؛ فغيرك من الناس أولى ألا يكون عالماً بمصلحتك ولا
 قادراً عليها ولا مریداً [لها] ^(٢)، والله سبحانه هو يعلم ولا تعلم ويقدر ولا تقدر
 ويعطيك من فضله العظيم، كما في الحديث [الصحيح] ^(٣) حديث
 الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك
 من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام
 الغيوب» ^(٤).



(١) في (أ) لمصلحتك.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) ليست في (ب) و(ف).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١٨٧/١١ رقم (٦٣٨٢) في الدعوات باب الدعاء عند
 الاستخارة، من حديث جابر رضي الله عنه.

فصل

(وهو مثل المقدمة لهذا الذي أمامه)

وهو أن كل إنسان فهو حارث همام، حساس متحرك بالإرادة، بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل بإرادته؛ والإرادة هي المشيئة والاختيار، ولا بد في العمل الإرادي والاختياري من مراد هو المطلوب، ولا يحصل المراد إلا بأسباب ووسائل تحصله، فإن حصل بفعل العبد فلا بد من قدرة وقوة، وإن كان من خارج فلا بد من فاعل غيره، وإن كان منه ومن الخارج فلا بد من الأسباب كالآلات ونحو ذلك.

فلا بد لكل حي من إرادة، ولا بد لكل مريد من عون يحصل به مراده، فصار العبد مجبولاً على أن يقصد شيئاً ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده، هذا أمر حتم لازم ضروري في حق كل إنسان يجده [من] ^(١) نفسه.

لكن المراد والمستعان على قسمين: [منه ما يُراد لغيره، ومنه ما يراد لنفسه] ^(٢) والمستعان منه ما هو المستعان نفسه ومنه ما هو تبع للمستعان وآلة له، فمن المرادات ما يكون هو الغاية المطلوب، فهو الذي يذل له الطالب ويحبه وهو الإله المعبود.

(١) في (ب) في.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

ومنه ما يراد لغيره بحيث يكون المراد هو ذلك الغير فهذا مراد بالعرض.

ومن المستعان ما يكون هو الغاية التي يعتمد العبد عليه ويتوكل عليه ويعتضد به، ليس عنده فوقه غاية في الاستعانة.

ومنه ما يكون تبعاً لغيره بمنزلة الأعضاء [من] ^(١) القلب، والمال مع المالك، والآلات مع الصانع.

فإذا تدبّر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين؛ لا بد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها هو إلهاها، ولا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها سواء كان ذلك هو الله أو غيره، وإذا كان فقد يكون عاماً وهو الكفر كمن عبد غير الله مطلقاً، وسأل غير الله مطلقاً، مثل: عباد الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك، الذين يطلبون منهم الحاجات ويفزعون إليهم في النوائب.

وقد يكون خاصاً في المسلمين مثل: من غلب عليه حب المال، أو حب شخص، أو حب الرياسة، حتى صار عبد ذلك، كما قال ﷺ: «تعس ^(٢) عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة ^(٣)، تعس

(١) في (ب) مع.

(٢) تعس: دعاء عليه بالهلاك.

(٣) القطيفة: كساء له خمل.

عبد الخميصة^(١)، إن أُعطي رضي وإن منع سخط، تعس وانتكس^(٢)، وإذا شيك فلا انتقش^(٣) [رواه البخاري]^(٤)^(٥).

وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم أو خادمه من الأعوان والأجناد ونحوهم، أو أصدقائه أو أمواله، هي التي تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة الفلانية، فهو معتمد عليها ومستعين بها، والمستعان هو مدعو ومسؤول، وما أكثر ما يتلازم العبادة والاستعانة؛ فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه وضره؛ خضع له وذل وانقاد وأحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته وينسى مقصوده منه، كما يصيب كثيراً ممن يحب المال، أو يحب من يحصل له به العز والسلطان.

وأما من أحبه القلب وأراد وقصده فقد لا يستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه، كاستشعار المحب قدرة المحبوب على وصله، فإذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه؛ استعانه وإلا فلا.

(١) الخميصة: ثياب خز أو صوف معلمة.

(٢) انتكس: الانتكاس: الانقلاب على الرأس، وهذا دعاء عليه أيضاً بالخيبة؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر.

(٣) الانتقاش: إخراج الشوكة من الجسم. (انظر شرح الكلمات الغريبة في هذا الحديث في جامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٤٩٥).

(٤) ليست في (ب).

(٥) في الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٦/ ٩٥-٩٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالأقسام ثلاثة: قد يكون محبوباً غير مستعان، وقد يكون مستعاناً غير محبوب، وقد يجتمع فيه الأمران.

فإذا عَلِمَ أَنَّ العبد لابد له في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه هو مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته.

تبيّن أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥] كلام جامع [محيط]^(١) أولاً، وآخرأ لا يخرج عنه شيء، فصارت الأقسام أربعة:

إما أن يعبد غير الله ويستعينه وإن كان مسلماً (فالشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل)^(٢).

وإما أن يعبد ويستعين غيره، مثل كثير من أهل [العبادة]^(٣) الذين يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لا شريك له، وتخضع قلوبهم

(١) زيادة في (ب) و (ف).

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند ٣٠٣/٤، والطبراني في الكبير وفي الأوسط كما في مجمع الزوائد ٢٢٣/١٠ - ٢٢٤ من طريق أبي علي الكاهلي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال المنذري في الترغيب (٧٠/١): رواية أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان ولم أر أحداً جرحه، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣).

(٣) في (ب) و (ف) : الدين.

لمن يستشعرون نصرهم ورزقهم وهدايتهم من جهة، من الملوك والأغنياء والمشائخ.

وإما أن يستعينه وإن عبد غيره مثل كثير من ذوي الأحوال وذوي القدرة والسلطان الباطن أو الظاهر، وأهل الكشف والتأثير الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجأون إليه، لكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث بها رسوله.

والقسم الرابع: الذين لا يعبدون إلا إياه [ولا يستعينون إلا إياه]^(١) وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد أيضاً، لكنه تارة يكون بحسب العبادة والاستعانة، وتارة يكون بحسب المعبود والمستعان، فهنا هو بحسب المعبود والمستعان، لبيان أنه لا بد لكل عبد من معبود مستعان، وفيما بعد بحسب عبادة الله واستعانتة، فإن الناس [فيها]^(٢) على أربعة أقسام^(٣).

(١) ساقط من (ب).

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).

(٣) نهاية ما في الجزء الأول من الفتاوى من هذه الرسالة، انظر ١/٣٦.

فصل في الفاتحة^(١)

وأما حديث فاتحة الكتاب فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثني عليَّ عبدي، وإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٢).

وثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض ولم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أبشربنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي

(١) هذا الفصل بتمامه ليس في المخطوطتين، وقد ذكر محقق الطبعة المصرية ص ٩١ أنه غير موجود في المخطوطة التي اعتمد عليها في التحقيق، وقد أثبتته هنا من الفتاوى ١٤/ ٤-٥ تميماً للفائدة، حيث إن كلام شيخ الإسلام رحمه الله هنا حول فاتحة الكتاب.

(٢) رواه مسلم رقم (٣٩٥)، من حديث أبي هريرة.

قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف فيها إلا أعطيته»^(١) وفي بعض الأحاديث: «أن فاتحة الكتاب أعطيتها من كنز تحت العرش»^(٢).



(١) رواه مسلم ٥٥٤/١، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) جاء ذلك في أحاديث منها ما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن علي رضي الله عنه، وما رواه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٣٦ عن أنس رضي الله عنه، وانظر الدر المنثور ١٦/١.

فصل في الفاتحة^(١)

قال الله تعالى في أم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/٥]. وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات لاصلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها منها.

[والصلاة]^(٢) أفضل الأعمال وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح، فأفضل كلمها الطيب وأوجه أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجه السجود، كما جمع بين الأمرين في أول سورة أنزلها على رسوله، حيث افتتحها بقوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [سورة العلق/١]. وختمها بقوله: ﴿واسجد واقرب﴾ [العلق/١٩]. فوضعت الصلاة على ذلك أولها القراءة وآخرها السجود.

ولهذا قال سبحانه في صلاة الخوف: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء/١٠٢]. والمراد بالسجود: الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للإمام، وما قبل القراءة من تكبير واستفتاح واستعاذة هي

(١) من بداية هذا الفصل إلى نهاية الرسالة نقله في الفتاوى إلى قسم التفسير

٣٦٥/١٤

(٢) في (ب) الصلوات.

تحريم للصلاة ومقدمة لما بعده، أول ما يتبدأ به لتقدمه، وما يفعل بعد السجود من قعود وتشهد فيه التحية لله والسلام على عباده الصالحين والدعاء والسلام على المخاطبين فهو تحليل للصلاة ومعقبة لما قبله، قال النبي ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»^(١).

ولهذا تنازع الناس^(٢): أيهما أفضل: كثرة الركوع والسجود، أو طول القيام، أوهما سواء؟ على ثلاثة أقوال عن أحمد وغيره، وكان الصحيح أنهما سواء، القيام فيه أفضل الأذكار، والسجود أفضل الأعمال؛ فاعتدلا.

ولهذا كانت صلاة رسول الله ﷺ معتدلة يجعل الأركان قريباً من السواء، إذا أطال القيام طويلاً كثيراً كما كان يفعل في قيام الليل وصلاة الكسوف أطال معه الركوع والسجود، وإذا اقتصد فيه اقتصد في الركوع والسجود.

وأما الكتاب كما أنها القراءة الواجبة في الصلاة فهي أفضل سورة في القرآن، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لم ينزل في التوراة ولا

(١) رواه أبو داود رقم (٦١) في الطهارة باب فرض الوضوء، والترمذي رقم (٣) في الطهارة باب ما جاء في أن مفتاح الصلاة الطهور، عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وصححه الشيخ ناصر الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٣).

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: تنازع العلماء.

الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١).

وفضائلها كثيرة جداً، وقد جاء مأثوراً عن الحسن البصري رواه ابن أبي حاتم وغيره^(٢) : «[أن الله]^(٣) أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، [وجمع]^(٤) علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، [وجمع]^(٥) علم المفصل في أم القرآن، [وجمع]^(٦) علم أم القرآن في هاتين الكلمتين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وأن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين»^(٧).

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح، حديث قسمة الصلاة، أن الله تعالى يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي

(١) رواه مالك في الموطأ ٨٣/١ من رواية أبي سعيد بن المعلا مرسلاً، ووصله الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/٢١٨، وأخرجه الترمذي رقم [٢٨٧٥]، والحاكم ٥٥٧/١، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في المخطوطتين: (ابن أبي حاتم) وجاء في الفتاوى ٧/١٤، وفي الطبعة المصرية ٩٥، ودقائق التفسير ١/١٧٦، والتفسير الكبير ٢/٣٠١: (ابن ماجه). وقد ذكره ابن القيم في تفسير الفاتحة ص ٦١ بدون عزو، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦ للبيهقي في شعب الإيمان ٥/٣٠٨ ولم أجده في مظانه في سنن ابن ماجه.

(٣) ليست في (ب).

(٤) و (٥) و (٦): في (ب) جميع.

(٧) كتب هنا في حاشية (أ) : فائدة ومطلب مهم.

ونصفها لعبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله: أثني عليّ عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال الله: مجدني عبدي، وفي رواية: فوّض إليّ عبدي، وإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، [فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هؤلاء لعبدي ولعبي ما سأل] ^(١) ^(٢).

فقد ثبت بهذا النص أن السورة [قسمت] ^(٣) بين الله وبين عبده، وأن هاتين الكلمتين مقسم السورة، فإياك نعبد مع ما قبله لله، وإياك نستعين مع ما بعده للعبد وله ما سأل. ولهذا قال من قال من السلف: نصفها ثناء ونصفها مسألة، فكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء.

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبد وأن نستعين؛ إذ إيجاب القبول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه، ليس إيجاباً لمجرد لفظ لا معنى له، فإن هذا لا يجوز أن يقع، بل إيجاب ذلك أبلغ من [إيجاب] ^(٤) مجرد العبادة والاستعانة، فإن ذلك قد يحصل

(١) زيادة من (ب) و (ف).

(٢) رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٤ - ٨٥، ومسلم رقم (٣٩٥)، وأبو داود رقم (٨٢١)، والترمذي رقم (٢٩٥٣)، والنسائي ٢/ ١٠٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ب) مقسمة. (٤) ليست في (ب).

أصله بمجرد القلب، أو القلب والبدن، بل أوجب دعاء الله ومناجاته وتكليمه ومخاطبته بذلك، ليكون الواجب من ذلك كلاماً صورة ومعنى بالقلب وسائر الجسد.

وقد جمع بين هذين الأصلين الجامعين إيجاباً وغير إيجاب في مواضع، كقوله في آخر سورة هود: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/١٢٣]. وقول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود/٨٨]. وقول إبراهيم والذين معه: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [المتحة/٤]. وقوله سبحانه إذ أمر رسوله أن يقول: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هوربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/٣٠]. فأمرني به أن يقول: على الرحمن توكلت وإليه متاب، كما أمر بهما في قوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ والأمر له أمر لأُمته، وأمره بذلك في أم القرآن وفي غيرها لأُمته^(١)؛ ليكون فعلهم [ذلك]^(٢) طاعة لله وامثالاً لأمره، لا تقدماً بين يدي الله ورسوله، ولهذا كان عامة ما يفعله نبينا ﷺ والخالصون من أُمته من الأدعية والعبادات وغيرها إنما هو بأمر من الله، بخلاف من يفعل ما لم يؤمر به وإن كان حسناً أو عفواً.

وهذا آخر الأسباب الموجبة لفضله وفضل أُمته على من سواهم،

(١) في هذه العبارة إجمال، ولعل الصحيح: وأمره بذلك في أم القرآن وفي غيرها أمر لأُمته.

(٢) زيادة من (ب).

وفضل الخالصين من أمته على المشوبين الذين شابوا ما جاء به غيره، كالمنحرفين عن الصراط المستقيم، وإلى هذين الأصلين كان النبي ﷺ يقصد في عبادته وأذكاره ومناجاته، مثل قوله في الأُضحية: «اللهم منك ولك»^(١) فإن قوله: (منك) هو معنى التوكل والاستعانة، وقوله: (لك) هو معنى العبادة.

ومثل قوله في قيامه من الليل: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(٢) إلى أمثال ذلك.

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه، وذكره الشيخ ناصر الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم (٢٧٩٥).

(٢) رواه البخاري ١٣ / ٣٨٠ رقم (٧٣٨٣)، ومسلم رقم (٢٧١٧)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

الإنسان بين العبادة والاستعانة

إذا تقرر هذا الأصل فالإنسان في هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة: إما أن يأتي [بهما]^(١)، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً. ولهذا كان الناس في هذه الأقسام الأربعة، بل أهل الديانات هم أهل هذه الأقسام، وهم المقصودون هنا بالكلام:

□ قسم يغلب عليه التأله :

قسم يغلب عليه قصد التأله لله، ومتابعة الأوامر والنهي، والإخلاص لله تعالى، واتباع الشريعة في الخضوع لأوامره وزواجره وكلماته [الدينيات]^(٢)، لكن يكون منقوصاً من جانب الاستعانة والتوكل فيكون إما عاجزاً وإما مفرطاً، وهو مغلوب [إما مع عدوه الباطن]^(٣) وإما مع عدوه الظاهر، وربما يكثر فيه الجزع مما يصيبه والحزن مما يفوته، وهذه حال كثير ممن يعرف شريعة الله وأمره، ويرى أنه متبع للشريعة وللعبادة الشرعية، ولا يعرف قضاء وقدره وهو حسن القصد طالب للحق، لكنه غير عارف بالسبيل الموصلة والطريق المفضية.

(١) في (أ) بها، وفي (ب) و(ف) بهما. وهو الصحيح.

(٢) في (ف) الكونيات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

□ قسم يغلب عليه الاستعانة والتوكل :

وقسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه، وإظهار الفقر والفاقة بين يديه، والخضوع لقضائه وقدره وكلماته الكونية، لكن [يكون]^(١) منقوصاً من جانب العبادة وإخلاص الدّين لله، فلا يكون مقصوده أن يكون الدّين كله لله، وإن كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعاً لشريعة الله ومنهاجه، بل قصده نوع سلطان في العالم، إما سلطان قدرة وتأثير، وإما سلطان كشف [وإخبار]^(٢)، أو قصده طلب ما يريد ودفْع ما يكرهه بأي طريق كان، أو مقصوده نوع عبادة وتألّه بأي وجه كان، [وهمته]^(٣) في الاستعانة والتوكل المعينة [له]^(٤) على مقصوده، فيكون إما جاهلاً وإما ظالماً تاركاً لبعض ما أمره الله، [راكناً]^(٥) لبعض ما نهى الله عنه، وهذه حال كثير ممن يتألّه ويتصوف ويتفكر، ويشهد قدرة الله وقضائه، ولا يشهد أمر الله ونهيه، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه وإقامته لها، ولا يشهد [ما أمر به]^(٦)، ما الذي يحبه الله له، وما الذي نهاه الله عنه، ولهذا يكثر في هؤلاء من له كشف وتأثير وخرق [للعادة]^(٧) مع انحلال عن بعض الشريعة، ومخالفة

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب): كشف أخبار.

(٣) في (ب) و (ف) همته.

(٤) ليست في (أ) وأثبتها من (ب) و (ف).

(٥) في (ب) و (ف) راكباً.

(٦) في (ب) ولا يشهد ما أمر الله به.

(٧) في (ب) عادة.

لبعض الأمر، وإذا أوغل الرجل منهم [دخل] ^(١) في الإباحة والانحلال، وربما صعد إلى فساد التوحيد فيجمع بين [الإباحة] ^(٢) والحلول المقيد.

كما وقد وقع لكثير من الشيوخ، ويوجد في كلام صاحب منازل السائرين ^(٣) ^(٤) وغيره ما يفضي إلى ذلك، وقد يدخل قوله في الاتحاد والحلول المطلق والقول بوحدة الوجود، فيعتقد أن الله هو الوجود المطلق، فيقول كما قال صاحب الفتوحات المكية ^(٥) في أولها:

الرب حق [والعبد حق] ^(٦) يا ليت شعري من المكلف

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب) الاتحاد، وفي (ف) فيخرج إلى الاتحاد والحلول.

(٣) هو محمد بن عبدالله الأنصاري أبو إسماعيل الهروي المتوفى سنة ٤٨١، وكان إماماً في السنة على تصوف منه، انظر ترجمته في السير ١٨/٥٠٣، وكتابه (منازل السائرين) في السلوك وفيه تصوف، وقد شرحه ابن القيم في كتابه: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» وقد تعقب ابن القيم رحمه الله في شرحه ما فيه من مخالفة المنهج الحق؛ وانتقده انتقاداً جيداً رصيناً كما هو دأبه رحمه الله في سائر تاليفه.

(٤) نسبه الدكتور (الجليند) إلى أبي ذر الهروي عبد بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٤هـ. وهو خطأ ظاهر.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المرسى المعروف بابن العربي، شيخ الصوفية وقدة أهل الوحدة «يعني القول بوحدة الوجود، وهي من مقالات أهل الضلال، نسال الله العافية والسلامة»، مات سنة ٦٣٨هـ. انظر ترجمته في السير ٢٣/٤٨، وتأريخ الإسلام وفيات ٦٣٨ ص ٣٥٢، وانظر: مصرع التصوف، تحقيق عبدالرحمن الوكيل.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) وموجود في بقية النسخ.

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف^(١)

□ قسم معرض عن الواجبين العبادة والاستعانة :

وقسم ثالث معرض عن عبادة الله وعن الاستعانة [به]^(٢) جميعاً، وهم فريقان: أهل دين، وأهل دنيا، فأهل الدين منهم أهل الدين الفاسد الذين يعبدون غير الله، ويستعينون غير الله بظنهم وهواهم: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم/٢٣].

وأهل الدنيا منهم الذين [يطلبون]^(٣) ما يشتهون من العاجلة بما يعتقدونه من الأسباب.

واعلم أنه [يجب]^(٤) التفريق بين من قد يعرض عن عبادة الله والاستعانة به، وبين من يعبد غيره ويستعين بسواه.

(١) الفتوحات المكية ١ - ٢ طبع بولاق، نقلاً عن الطبعة المصرية.

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب) يظنون. وهو خطأ.

(٤) ساقطة من الطبعة المصرية. وهو خطأ.

فصل^(١)

(في معنى الحمد لله رب العالمين)

قال الله تعالى في أول السورة: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة/٢]. فبدأ [بهذين]^(٢) الاسمين: الله والرب، والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحانه الله، لا إله إلا الله. والرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحق [باسم]^(٣) الاستعانة والمسألة.

ولهذا يُقال: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾^(٤) [نوح/٢٨]. ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف/٢٣]. ﴿رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصر/١٦]. ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ [آل عمران/١٤٧]. ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة/٢٨٦].

فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب، فالاسم الأول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وما خلق له وما فيه صلاحه وكماله وهو

(١) في حاشية (أ) كتب: قف.

(٢) في (أ) بين هذين. وهو خطأ.

(٣) ساقطة من (أ) وأثبتها من (ب) و(ف).

(٤) من دعاء نوح عليه السلام.

عبادة الله.

والاسم الثاني: يتضمن خلق العبد ومبتداه وأنه يربيته ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الألوهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً.

والاسم [الثالث]^(١) الرحمن، كمال التعليقين [ووصف]^(٢) الحالين، فيه تتم سعادته في دنياه وأخراه، ولهذا قال: ﴿...وهم يكفرون بالرحمن. قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. فذكر هنا الأسماء الثلاثة (الرحمن) و(ربي) و(الإله)، وقال: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن لكن بدأ هنا باسم الله، ولهذا بدأ في السورة: بإياك نعبد، فقدم الاسم وما يتعلق به من العبادة؛ لأن تلك السورة فاتحة الكتاب وأم القرآن فقدم منها المقصود الذي هو العلة الغائية، فإنها [علة فاعلية للعلة الفاعلية]^(٣)، [وقد بسطت هذا المعنى]^(٤) في مواضع، في أول التفسير^(٥)، وفي قاعدة المحبة والإرادة^(٦).

(١) علقت في حاشية (أ) وكتب عليها: صح، وهي موجودة في (ب) وليست موجودة في (ف).

(٢) في (ف) بوصف.

(٣) اختلفت النسخ في هذه العبارة، فالمثبت من (أ)، وجاء في الفتاوى: فإنها علة فاعلية للعلة الغائية. وفي (ب): الذي هو العلة الغائية، فإنها علة فاعلية للعلة الفاعلية.

(٤) في (ب): وقد بسطت هذا والإرادة في ذلك.

(٥) لم أجد ما يشير إليه الشيخ رحمه الله في القسم المطبوع من تفسيره.

(٦) لشيخ الإسلام «قاعدة في المحبة» طبعت ضمن «جامع الرسائل لابن تيمية» المجموعة الثانية بتحقيق الدكتور محمد رشاد، وانظر ما يحيل إليه أيضاً في رسالته «الإرادة والأمر» ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، طبع محمد على صبيح.

فصل

(إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد الإلهية)

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم إلى الإله المعبود وقصدهم لدفع [حاجتهم]^(١) العاجلة قبل الآجلة؛ كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته [أسبق]^(٢) من إقرارهم من جهة ألوهيته، وكان الدعاء له والاستعانة والتوكل عليه [منهم]^(٣) أكثر من العبادة له والإنابة إليه، ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية.

وقد أخبر عنهم أنهم ﴿لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾، وأنهم (إذا مسهم الضر ضل من يدعون إلا إياه) وقال: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين...﴾^(٤).

[فأخبر أنهم مقرون بربوبيته وأنهم مخلصون له الدين]^(٥) وإذا مسهم الضر في دعائهم واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال

(١) في (ب) حاجاتهم.

(٢) في (ب) اشتق وهو خطأ.

(٣) في (ب) فيهم، وكتب في الحاشية: لعله: منهم.

(٤) لقمان آية ٣٢. وقد جاءت في المخطوطتين: (وإذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين

له الدين..) ولم ترد هكذا في القرآن وقد صححتها، كما صححت في الفتاوى.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

حصول أغراضهم.

وكثير من المتكلمين إنما [يقررون]^(١) الوجدانية من جهة الربوبية، فأما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية، وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة أرباب الأحوال إنما توجههم إلى الله من جهة ربوبيته؛ لما يمدهم به في الباطن من الأحوال التي بها يتصرفون، وهؤلاء من جنس الملوك، وقد ذم الله في القرآن هذا الصنف كثيراً.

فتدبر هذا فإنه ينكشف به أحوال قوم يتكلمون في الحقائق ويعملون عليها، وهم لعمرى في نوع [من]^(٢) الحقائق الكونية القدرية الربوبية، لا في الحقائق الدينية الشرعية الإلهية، وقد تكلمت على هذا المعنى في مواضع متعددة^(٣)، وهو أصل عظيم يجب الاعتناء به. والله سبحانه أعلم.

(١) في (أ) يقرون. وما أثبتته من (ب) وبقيّة النسخ وهو أصح.

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و (ف).

(٣) انظر على سبيل المثال ٢٥١/١١ وما بعدها، ١٤٩/١٠ وما بعدها، ٥٨/٨ وما بعدها، من مجموع الفتاوى، وانظر الرسالة التدمرية، كلها لشيخ الإسلام.

فصل

(الإنسان وجميع المخلوقات عبيد لله)

متصل بالذي قبله، وذلك أن الإنسان بل وجميع المخلوقات عباد لله تعالى فقراء إليه ممالك له، وهوربهم ومليكهم وإلههم، لا إله إلا هو.

فالمخلوق ليس له من نفسه [شيء أصلاً، بل نفسه]^(١) وصفاته وأفعاله وما ينتفع به أو يستحقه وغير ذلك إنما هو من خلق الله، [والله]^(٢) رب ذلك كله ومليكه وبارئه وخالقه ومصوره؛ وإذا قلنا: ليس له من نفسه إلا العدم؛ فالعدم ليس هو شيئاً يفتقر إلى فاعل موجود، بل العدم ليس بشيء، وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل؛ لأن عدم الفاعل يوجبه ويقتضيه، كما يوجب الفاعل المفعول الموجود، بل قد يضاف عدم المعلوم إلى عدم العلة وبينهما فرق.

وذلك المفعول الموجود إنما خلقه وأبدعه الفاعل، وليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل، فإنه يفضي إلى التسلسل والدور؛ لأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للآخر بأولى من العكس، فإنه ليس أحد العدمين مميزاً بحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلاً، وإن كان يعقل أن

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

عدم المقتضى أولى بعدم الأثر من العكس، فهذا لأنه لما كان موجود المقتضى هو [المفيد]^(١) لوجود المقتضى؛ صار العقل يضيف عدمه إلى عدم إضافة لزومية؛ لأن عدم الشيء إما أن يكون لعدم المقتضى [أو لوجود المانع بعد قيام المقتضى]^(٢)، لا يتصور أن يكون عدم إلا [لأحد]^(٣) هاتين.

فلما كان الشيء الذي انعقد سبب وجوده [بعدمه]^(٤) المانع المنافي، وهو أمر موجود، وتارة لا يكون سببه قد انعقد؛ صار عدمه تارة ينسب إلى عدم مقتضيه، وتارة إلى وجود منافيه، وهذا معنى قول المسلمين: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

فمشيئته [موجبة]^(٥) للكائنات كلها، وما لم يشأه لم يكن، [إذ مشيئته هي الموجبة]^(٦)، فيلزم من انتفائها [...] أن لا يكون شيء حتى تكون مشيئته، لا يكون شيء بدونها بحال، فليس لنا سبب يقتضي وجود شيء حتى تكون مشيئته [...] ^(٨) هي السبب الكامل، فمع وجودها لآمانع ومع عدمها لا مقتضى، ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا

(١) في (ب) المقيد. (٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) في (ب) لأجل. (٤) في (ب) يعوقه.

(٥) ليست في (ب).

(٦) جاءت العبارة التي بين القوسين في الفتاوى هكذا: إذ مشيئته هي الموجبة وحدها لا غيرها.

(٧) في (ب) زيادة: انتفاؤه.

(٨) جاء بعدها في الفتاوى: مانعة من وجوده، بل مشيئته هي السبب الكامل.

ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴿فاطر/٢﴾. ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس/١٠٧].

﴿قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر/٣٨].

□ الإنسان ليس له من نفسه خير أصلاً :

فإِذَا عُرِفَ أَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ خَيْرٌ أَصْلًا، [بل] ^(١) ما بنا من نعمة فمن الله، وإذا مسنا الضر فإليه نجأ، والخير كله بيديه، كما قال: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/٧٩]. وقال: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/١٦٥]. وقال النبي ﷺ في سيد الاستغفار الذي في صحيح البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ^(٢).

وقال في دعاء الاستفتاح الذي في صحيح مسلم: «لييك وسعديك والخير بين يديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت» ^(٣).

(١) زيادة من (ب).

(٢) البخاري رقم (٦٣٠٦) فتح، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) مسلم رقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث طويل.

□ الشر إما موجود وإما معدوم :

وذلك أن الشر إما أن يكون موجوداً أو معدوماً، فالمعدوم سواء كان عدم ذات، أو عدم صفة من صفات كمالها، أو فعل من أفعالها، مثل عدم الحياة أو العلم أو السمع أو البصر أو الكلام أو العقل، أو العمل الصالح على تنوع أصنافه، مثل: معرفة الله ومحبه وعبادته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، ورجائه، وخشيته، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وغير ذلك من الأمور المحموده الباطنة والظاهرة من الأقوال والأفعال، فإن هذه الأمور كلها خيرات وحسنات، وعدمها شروسيئات، لكن هذا العدم ليس بشيء أصلاً حتى يكون له بادي فاعل فيضاف إلى الله، وإنما هو من لوازم النفس التي هي حقيقة الإنسان قبل أن تخلق وبعد أن خلقت، فإنها قبل أن تخلق عدم مستلزم لهذا العدم.

وبعد أن خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة [فيها نقص]^(١)، والنقص والضعف والعجز فإن هذه أمور عدمية فأضيفت إلى النفس من باب إضافة عدم المعلول إلى عدم علته وعدم مقتضيه، وقد يكون من باب إضافته إلى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه إن شاء الله.

□ الشر لا ينسب إلى الله :

ونكتة الأمر أن هذا الشر والسيئات العدمية ليست موجودة حتى يكون الله خالقها فإنه خالق كل شيء، والمعدومات تنسب تارة إلى

(١) في (ب): فيها النقص والضعف والعجز..

عدم فاعلها وتارة إلى وجود مانعها، فلا تنسب إليه هذه الشرور العدمية على الوجهين، أما الأول فلأنه الحق المبين، فلا يُقال: عدمت؛ لعدم فاعلها أو مقتضيتها، وأما الثاني وهو وجود المانع فلأن المانع إنما يحتاج إليه إذا وجد المقتضى، ولو شاء فاعلها لما منعه مانع، وهو سبحانه لا يمنع نفسه ما شاء فعله؛ بل هو فعال لما يشاء، ولكن قد يخلق هو سبباً مقتضياً ومانعاً، فإن جعل السبب تاماً لم يمنعه شيء، وإن لم يجعله تاماً [منع]^(١) المانع [لضعف]^(٢) السبب وعدم إعانة الله له، فلا يعدم إلا لأنه لم يشاؤه، كما لا يوجد أمر إلا لأنه شاءه.

وإنما تضاف هذه السيئات العدمية إلى العبد؛ لعدم السبب منه تارة، ولوجود المانع منه أخرى، أما عدم السبب فظاهر، فإنه ليس منه قوة ولا حول ولا خير ولا سبب خير أصالة، ولو كان منه شيء لكان سبباً فأضيف إليه لعدم السبب، ولأنه قد صدرت منه أفعال كان سبباً لها بإعانة الله له، فما لم يصدر منه كان لعدم السبب.

وأما وجود المانع المضاد له المنافي فلأن نفسه قد تضيق [وتضعف]^(٣) وتعجز أن تجمع بين أفعال ممكنة في نفسها متنافية في حقه، فإذا اشتغل بسمع شيء أو بصره أو الكلام في شيء والنظر فيه أو إرادته، فإذا اشتغلت جوارحه بعمل كثير اشتغلت عن عمل آخر.

(١) في (ب) منعه.

(٢) في (ب) الضعيف.

(٣) ليست في (ب).

فصار قيام إحدى الصفات والأفعال به مانعاً وصاداً عن آخر، وإن كان ذلك خيراً لضيقه وعجزه، والضيق والعجز يعود إلى عدم قدرته فعاد إلى العدم الذي هو منه، والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالى، وأما إن كان الشر موجوداً كالألم وسبب الألم؛ فينبغي أن يعرف أن الشر الموجود ليس شراً على الإطلاق، ولا شراً محضاً، وإنما هو شرفي حق من تألم به، وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه^(١): «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»^(٢).

وفي الحديث الذي رواه أبو داود: «لو أنفقت مثل الأرض ذهباً لما قبله منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(٣).

فالخير والشر هما بحسب العبد المضاف إليه، كالحلو والمر،

(١) في المطبوعات (مسلسلاً) وليست في المخطوطتين.

(٢) أورده ابن قدامة في لمعة الاعتقاد ص ٢٢ غير معزوز، ولم أجده بهذا اللفظ، وأقرب ما رأيته في ذلك ما جاء في رواية لحديث جبريل المشهور في سؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وجاء فيه: «... الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله».

هذه الرواية أوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١ / ١ عن ابن عمر، وقال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

(٣) أبو داود رقم (٤٦٩٩) في السنة باب القدر، وابن ماجه رقم (٧٧) وصححه الشيخ ناصر في صحيح أبي داود رقم (٤٦٩٩).

سواء ذلك أن من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شرّاً، ومن تنعم به فهو في حقه خير، كما كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ من قص عليه أخوه رؤيا أن يقول: «خيراً تلقاه، وشرّاً توقاه، خير لنا وشر لأعدائنا»^(١).

فإنه إذا أصاب العدو شر يسرُّ [قلب]^(٢) عدوه؛ فهو خير لهذا وشر لهذا، ومن لم يكن له ولياً ولا عدواً فليس في حقه لا خيراً ولا شرّاً، وليس في مخلوقات الله سبحانه ما يؤلم الخلق كلهم دائماً، بل ولا ما يؤلم جمهورهم [دائماً، بل مخلوقاته إما منعمة لهم ولجمهورهم]^(٣) في أغلب الأوقات، كالشمس والعافية.

فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقاً عاماً، فعلم أن الشر المخلوق الموجود شرمقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة/٧]. وقال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل/٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر/٨٥]. وقال تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ [آل عمران/١٩١].

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٢٧). قال محققه: إسناده ضعيف جداً.

(٢) في (ب) قلوب.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

□ لم يخلق الله شيئاً إلا لحكمة :

وقد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئاً إلا لحكمة، فتلك الحكمة وَجْهٌ حُسْنُهُ وخيره، ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا [فائدة]^(١) فيه بوجه، وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ: «... والشر ليس إليك»^(٢).

وكون الشر وحده لم يصف إلى الله، بل إما بطرق العموم، أو يضاف إلى السبب أو يحذف فاعله، فهذا الشر الموجود الخاص المقيد سببه إما عدم وإما وجود؛ فالعدم مثل عدم [شرط]^(٣) وجزء سبب، إذ لا يكون العدم سببه عدماً محضاً، فإن العدم المحض لا يكون سبباً تاماً لوجود، ولكن يكون سبب الخير واللذة قد انعقد ولا يحصل الشرط فيقع الألم، وذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب [الذم والعقاب، ومثل عدم العلم الذي هو سبب ألم الجهل]^(٤)، وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم^(٥) بالعمى والصمم والبكم، وعدم الصحة والقوة الذي هو سبب الألم بالمرض والضعف.

(١) في (ب) زيادة: ولا معنى فائدة.

(٢) جزء من حديث طويل تقدم تخريجه ص ٧٢.

(٣) ليست في (ب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) في (ب) ألم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم بالعمى.

فهذه المواضع ونحوها يكون الشر أيضاً مضافاً إلى العدم المضاف إلى العبد، حتى يتحقق قول الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء/ ٨٠]. فإن المرض وإن كان ألبماً موجوداً فنسبة ضعف القوة وانتفاء الصحة الموجودة - وذلك عدم - هو من الإنسان المعدم نفسه، ويتحقق قول الحق: ﴿.. وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]. وقوله: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/ ١٦٥]. ونحو ذلك فيما كان سببه عدم فعل الواجب.

وكذلك [قول] ^(١) الصحابي: «وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان» ^(٢).

تبين لك أن المحرمات ^(٣) جميعها من الكفر والفسوق والعصيان، إنما يفعلها العبد [بجهله] ^(٤) أو لحاجته، فإنه إذا كان عالماً بمضررتها وهو غني عنها امتنع أن يفعلها، والجهل أصله عدم، والحاجة أصلها العدم، فأصل وقوع السيئات منه هو عدم العلم والغنى، ولهذا يقول في القرآن: ﴿.. ما كانوا يستطيعون السمع﴾ [هود/ ٢٠]. ﴿.. أفلم تكونوا

(١) في (أ) أقوال الصحابة. وهو خطأ والمثبت من (ب) و (ف).

(٢) جزء من كلام لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رواه أحمد رقم (٤٠٩٩) تحقيق أحمد شاكر، وأبو داود رقم (٢١١٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) في (أ) المخلوقات. وكتب في الحاشية: عند: المحرمات.

(٤) في (أ) بجهله. والمثبت من (ب) و (ف) وهو أصح.

تعقلون»^(١)، ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على آثارهم يهرعون﴾
[الصفات/ ٦٩-٧٠]. إلى نحو هذه المعاني.

□ الشر الذي سببه الوجود :

وأما الوجود الذي هو سبب الشر الموجود الذي هو خاص كالآلام، مثل الأفعال المحرمة من الكفر الذي هو تكذيب واستكبار، والفسوق الذي هو فعل المحرمات، ونحو ذلك، فإن ذلك سبب الذم والعقاب، وكذلك يتناول الأغذية الضارة، وكذلك الحركات الشديدة المورثة للآلم، فهذا الوجود لا يكون وجوداً تاماً محضاً، إذ الوجود التام المحض لا يورث إلا خيراً كما قلنا.

إن العدم المحض لا يقتضي وجوداً بل يكون وجوداً ناقصاً، إما في السبب، وإما في المحل، كما يكون سبب التكذيب عدم معرفة الحق والإقرار به، وسبب عدم هذا العلم والقول عدم أسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق وأعلامه، وسبب عدم النظر والاستماع إما عدم المقتضى فيكون عدماً محضاً، وإما وجود مانع من الكبر والحسد في النفس ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ وهو تصور باطل وسببه عدم غنى النفس بالحق، فتعتاض عنه بالخيال الباطل، والحسد أيضاً سببه عدم النعمة التي يصير بها مثل المحسود أو أفضل

(١) جزء من آية من سورة يس رقم ٦٢ وهي: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾.

منه، فإن ذلك يوجب كراهية الحاسد لأن يكافيه المحسود أو يتفضل عليه، وكذلك الفسوق كالقتل والزنا وسائر القبائح، إنما سببها حاجة النفس إلى الاستشفاء بالقتل، والالتذاذ بالزنا؛ وإلا فمن حصل غرضه بلا قتل أو نال اللذة بلا زنا لا يفعل ذلك.

والحاجة مصدرها العدم، وهذا يبين إذا تدبره الإنسان، أن الشر الموجود إن أضيف إلى عدم أو وجود فلا بد أن يكون وجوداً ناقصاً، فتارة يضاف إلى عدم كمال السبب أو فوات الشرط، وتارة يضاف إلى وجود، ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص، وسبب ذلك إما عدم شرط أو وجود مانع، والمانع لا يكون مانعاً إلا لضعف المقتضى.

وكل ما ذكرته واضح يبين إلهذا الموضع ففيه غموض يتبين عند التأمل، وله طرفان:

أحدها: أن الموجود لا يكون سببه عدماً محضاً.

والثاني: أن الموجود لا يكون سبباً للعدم المحض.

وهذا معلوم بالبديهة أن الكائنات الموجودة لا تصدر إلا عن حق موجود، ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لا بد لكل مصنوع من صانع، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور/ ٣٥]. يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم، أم خلقوا أنفسهم؟

ومن المتكلمين من استدل على هذا المطلوب بالقياس، وضرب

الأمثال، والاستدلال عليه ممكن، ودلائله كثيرة، والفطرة عند صحتها أشد إقراراً به، وهولها أبده، وهي إليه أشد اضطراراً من المثل الذي يُقاس به.

□ اختلاف الأصوليين في العلة الشرعية :

وقد اختلف أهل الأصول في العلة الشرعية: هل يجو تعليل الحكم الوجودي بالوصف العدمي فيها؟ مع قولهم: إن العدمي يعلل بالعدمي، فمنهم من قال: يعلل به، [ومنهم من قال: لا يعلل به]^(١)، ومنهم [من فصل فقال: لا يجوز]^(٢) أن يكون [علة]^(٣) للوجود في قياس العلة، ويجوز أن تكون [علته]^(٤) له في قياس الدلالة، فلا يضاف إليه في قياس الدلالة، وهذا فصل الخطاب وهو أن قياس الدلالة يجوز أن يكون العدم فيه علة وجزءاً من [علة]^(٥)؛ لأن عدم الوصف قد يكون دليلاً على وصف وجودي يقتضي الحكم.

وأما قياس العلة فلا يكون العدم فيه علة تامة، ولكن يكون جزءاً من العلة التامة وشرطاً للعلة المقتضية التي ليست تامة؛ وقولنا: جزء من العلة التامة، هو معنى كونه شرطاً في اقتضاء العلة الوجودية

(١) في (ف) ومنهم من أنكر ذلك.

(٢) في (ف) فصل بين ما يجوز..

(٣) و (٤) و (٥) في (ب): علمه. وهو خطأ.

[وهذا]^(١) نزاع لفظي، فإذا حققت المعاني ارتفع، [فهذا]^(٢) في بيان أحد الطرفين وهو أن الموجود لا يكون سببه عدماً محضاً.

وأما الطرف الثاني: فهو أن [الموجود]^(٣) لا يكون سبباً لموجود يستلزم عدماً، فلأن عدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود بل يكفي فيه عدم السبب الموجود؛ لأن السبب الموجود إذا أثر فلا بد أن يؤثر شيئاً، وعدم المحض ليس بشيء، فالأثر الذي هو عدم محض بمنزلة عدم الأثر، بل إذا أثر الإعدام؛ فالإعدام أمر وجودي فيه عدم.

فإنَّ جَعَلَ الموجود معدوماً والمعدوم موجوداً أمر معقول، أما جَعَلَ المعدوم معدوماً فلا يعقل إلا بمعنى الإبقاء على عدم، والإبقاء على عدم يكفي فيه عدم الفاعل، والفرق معلوم بين عدم الفاعل وعدم الموجب وعدم العلة، وبين فاعل عدم وموجب عدم وعلة عدم، وعدم لا يفتقر إلى الثاني بل يكفي فيه الأول.

فتبين بذلك الطرفان، وهو أن عدم المحض الذي ليس فيه شوب [وجود]^(٤) لا يكون وجوداً ما، لا سبباً ولا مسبباً، ولا فاعلاً ولا مفعولاً أصلاً، فالوجود المحض التام الذي ليس فيه شوب عدم لا يكون

(١) في (ب) وهنا.

(٢) في (ب) فهذان. وهو خطأ.

(٣) في (ب) الوجود.

(٤) في المخطوطتين: لوجود. والمثبت من (ف) ولعله أصح.

سبباً لعدم أصلاً، ولا سبباً عنه ولا فاعلاً له ولا مفعولاً.

أما كونه ليس مسبباً عنه ولا مفعولاً له فظاهر، وأما كونه ليس سبباً له؛ فإن كان سبباً لعدم محض فالعدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود، وإن كان لعدم فيه وجود فذلك الوجود لا بد له من سبب، ولو كان سببه تاماً وهو قابل لما دخل فيه عدم؛ فإنه إذا كان السبب تاماً والمحل قابلاً وجب وجود المسبب، فحيث كان فيه عدم فالعدم في السبب أو في المحل، فلا يكون وجوداً محضاً، فظهر أن السبب حيث تخلف حكمه: إن كان لفوات شرط فهو عدم، وإن كان لوجود مانع فإنما صار مانعاً لضعف السبب وهو أيضاً عدم قوته وكماله، فظهر أن الوجود ليس سبب لعدم المحض.

فظهر بذلك القسمة الرباعية، وهو أن الوجود المحض لا يكون إلا خيراً، [يبين]^(١) ذلك أن كل شرفي العالم لا يخرج عن قسمين: إما ألم، وإما سبب الألم، وسبب الألم مثل الأفعال [المسببة]^(٢) المقتضية للعذاب، والألم الموجود لا يكون إلا لنوع عدم، كما يكون سببه تفرق الاتصال، وتفرق الاتصال هو عدم التأليف والاتصال الذي بينهما وهو الشر والفساد، وأما سبب الألم فقد قررت في [قاعدة كبيرة]^(٣) أن أصل

(١) في (ب) بين.

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) السيئة.

(٣) في (ب) عظيمة، كبيرة.

الذنوب هو عدم الواجبات لا فعل المحرمات، [وأن فعل المحرمات]^(١) إنما وقع لعدم الواجبات، فصار أصل الذنوب عدم [الواجب]^(٢)، وأصل الألم عدم [الاتصال]^(٣).

ولهذا كان النبي ﷺ يعلمهم في خطبة الحاجة أن يقولوا: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»^{(٤)(٥)}، [فيستعيذ]^(٦) من شر النفس الذي ينشأ عن ذنوبها وخطاياها، ويستعيذ من سيئات الأعمال التي هي عقوباتها وآلامها، فإن قوله: «ومن سيئات أعمالنا» قد يراد به السيئات من الأعمال، وقد يُراد به العقوبات، فإن لفظ السيئات في كتاب الله يراد به ما يسوء الإنسان من الشر، وقد يراد به الأعمال السيئة.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران/ ١٢٠]. وقال: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم/ ٣٦].

(١) ما بين القوسين ليس في (ب).

(٢) في (ف) الواجبات.

(٣) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) الصحة.

(٤) وقع في (أ) خطأ وقد صححته من (ب) و(ف).

(٥) خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، رواها الترمذي في جامعه رقم (١١٠٥) وابن ماجه رقم (١٨٩٢)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الترمذي: إسناده حسن. وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرق وروايات أحاديث خطبة الحاجة في رسالة مستقلة، وهي مطبوعة.

(٦) كذا في جميع النسخ (فيستعيذ) ولعل الصحيح (فيستعيذوا).

ومعلوم أن شر النفس هو الأعمال السيئة، فتكون سيئات الأعمال الشر والعقوبة الحاصلة بها ليكون مستعيذاً من نوعي السيئات، الأعمال السيئة وعقوباتها؛ كما في الاستعانة بالمأمور بها في الصلاة: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»^(١).

فأمرنا بالاستعاذة من عذاب الآخرة وعذاب البرزخ، ومن سبب العذاب: وهو فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال فإنها أعظم الفتن، كما في الحديث الصحيح: «ما من خلق آدم إلى قيام الساعة [فتنة]^(٢) أعظم من فتنة المسيح الدجال»^(٣).

(١) رواه مسلم رقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) ليست في (ب).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٤٦) عن عمران بن حصين، ولفظه: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من المسيح الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال». قال النووي في شرحه ٨٧/١٨: المراد: أكبر فتنة وأعظم شوكة، وجاء في حديث طويل رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال...».

فصل

(العبد وكل مخلوق فقير إلى الله)

إذا ظهر أن العبد وكل مخلوق فقير إلى الله محتاج إليه، ليس فقيراً إلى سواه، فليس هو مستغنياً بنفسه ولا بغير ربه فإن ذلك الغير فقير أيضاً محتاج، ومن المأثور عن أبي يزيد^(١) رحمه الله أنه قال: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق».

وعن أبي عبد الله القرشي^(٢) أنه قال: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون» وهذا تقريب وإلا فهو كاستغاثة العدم بالعدم، فإن المستغاث به إن لم يخلق الحق فيه قوة [وحولاً]^(٣) وإلا فليس له من نفسه شيء، قال سبحانه: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء/ ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة/ ١٠٢].

(١) أبو يزيد: طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي، من كبار الصوفية، له أخبار كثيرة، توفي سنة ٢٦١هـ. (ميزان الاعتدال ٣٤٦/٢، وفيات الأعيان ٥٣١/٢).

(٢) محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي الصوفي الزاهد، توفي سنة ٥٩٩. (العبر ١٢٦/٣، وفيات الأعيان ٣٠٥/٤).

(٣) في (ب) ولا حولا.

واسم العبد يتناول معنيين: أحدهما بمعنى العابد كرهاً، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم/٩٣]. وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران/٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون. بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة/١١٦، ١١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد/١٥].

والثاني بمعنى العابد، وهو الذي يعبد ويستعينه، وهذا هو المذكور في قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان/٦٣]. وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان/٦]. وقوله: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر/٤٢]. وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص/٨٣]. وقوله سبحانه: ﴿يَا عِبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف/٦٨]. وقوله: ﴿وَإِذْكَ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص/٤٥]. وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم/١٠]. وقوله: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص/٤٤]. وقوله تعالى: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء/١]. وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن/١٩].

وهذه العبودية قد يخلو الإنسان منها تارة، وأما الأولى [فوصف]^(١)

(١) في (ب) وقف.

لازم، إذا أريد بها جريان القدر عليه وتصريف الخالق له.

(١) فإن فقر المخلوق له وعبوديته أمر ذاتي له، ولا وجود له بدون

ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات المخلوقات.

(١) وقع هنا في المخطوطتين تقديم وتأخير واختلاف عن نص الفتاوى، وزيادات في نص الفتاوى، وقد أثبت نص الفتاوى هنا تنميماً للفائدة: نص الفتاوى (٣٠ / ١٤): «... وتصريف الخالق له، قال تعالى: ﴿أَغْفِرْ دِينَ اللَّهِ يَغْفِرْ لَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام: استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لا بد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلا بد له عند التحقيق من الخضوع والذل له. لكن المؤمن يسلم له طوعاً فيحبه ويطيع أمره، والكافر إنما يخضع له عند رغبة أو رهبة، فإذا زال عنه ذلك أعرض عن ربه كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قائماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾. وفقر المخلوق وعبوديته أمر ذاتي لا وجود له بدون ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات والمخلوقات، وبذلك هي أنها لخالقها وفاطرها إذ لا قيام لها بدونه، وإنما يفتقر الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم. وأيضاً فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم، فهو غاية مطلوبه ومراده ومنتهى همته، ولا صلاح له إلا بهذا، وأصل الحركات الحب، والذي يستحق المحبة لذاته هو الله، فكل من أحب مع الله شيئاً فهو مشرك وحبه فساد؛ وإنما الحب الصالح حب الله والحب لله، والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة استعانتة به، والاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك...».

وبذلك هي [آية]^(١) لخالقها وفاطرها؛ إذ لا قيام لها بدونه، وإنما يفترق الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم، وفي الاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهوربك وإلهك، قال تعالى: ﴿أَغْفِرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ. وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣]. وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد/ ١٥].

وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لا بد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلا بد له عند التحقيق من الذل والخضوع له.

وهذا العلم والعمل هو أمر فطري ضروري، فإن النفوس تعلم فقرها إلى خالقها، وتذل لمن افتقرت إليه، وغناه من الصمدية التي تفرد بها، فإنه ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو شهود الربوبية بالاستعانة والتوكل والدعاء والسؤال، ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل، وذلك هو عبادته والإنابة إليه، فإن العبد إنما خلق لعبادة ربه، فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه، وذلك قدر زائد على مسأله والافتقار إليه، فإن جميع الكائنات حادثة بمشيئته، قائمة بقدرته وكلمته، محتاجة إليه، فقيرة إليه،

(١) في (ف) أنها. وما أثبتته من المخطوطتين ولعله الصحيح.

مسلمة له طوعاً وكرهاً، فإذا شهد العبد ذلك وأسلم له وخضع؛ فقد آمن بربوبيته ورأى حاجته وفقره إليه وصار سائلاً له متوكلاً عليه مستعيناً به، إما بحاله وإما بمقاله، بخلاف المستكبر عنه المعرض عن مسألته.

□ أنواع سؤال العبد ربه :

ثم هذا المستعين به السائل، إما أن يسأل ما هو مأموره، أو ما هو منهي عنه، أو ما هو مباح له؛ فالأول حال المؤمنين السعداء الذين حالهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والثاني حال الكفار والفساق والعصاة الذين فيهم إيمان وإن كانوا كفاراً كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف/١٠٦]. فهم مؤمنون بربوبيته مشركون في عبادته، كما قال النبي ﷺ لجحسين الخزاعي: «يا حصين كم إلهاً تعبد؟ قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: فما الذي تعده لرغبتك ورهبتك. قال: الذي في السماء. قال: أسلم حتى أعلمك كلمة ينفعك بها، فأسلم فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي» رواه الإمام^(١) أحمد^(٢) وغيره.

(١) كررت في الأصل.

(٢) هذه الرواية للترمذي في جامعه رقم (٣٤٨٣)، ولم أجده بهذا اللفظ في المسند. ورواه الإمام أحمد ٤/ ٤٤٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٩٣ - ٩٩٤) بإسناد آخر واختلاف في الرواية، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ٢٧٥: إسناده صحيح، وقال الترمذي في روايته: حسن غريب.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/١٨٦]. أخبر سبحانه أنه قريب من عباده [يجيب] ^(١) دعوة الداع إذا دعاه، فهذا إخبار عن ربوبيته لهم وإعطائه سؤالهم وإجابته دعاءهم، فإنهم إذا دعوه فقد آمنوا بربوبيته لهم، وإن كانوا مع ذلك كفاراً من وجه آخر أو فساقاً أو عصاة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء/٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس/١٢]. ونظائره في القرآن كثيرة.

ثم أمرهم بأمرين فقال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فالأول: أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة، والثاني: الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنه ربهم وإلههم، ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ فالطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته، وأما إجابة دعائه وإعطائه سؤاله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة. قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ

(١) في (ب) مجيب.

بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً ﴿[الإسراء/ ١١]﴾. وقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس/ ١١]. وقال تعالى عن المشركين: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال/ ٣٢]. وقال: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ [الأنفال/ ١٩]. وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف/ ٥٥]. وقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه.﴾.. الآية [الأعراف/ ١٧٥، ١٧٦]. وقال: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران/ ٦١].

وقال النبي ﷺ لما دخل على أهل جابر فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(١).

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٩٢٠) كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر، عن أم سلمة رضي الله عنها.
تنبيه: قول الشيخ رحمه الله: لما دخل على أهل جابر، لعله سهو منه. فإن الوارد في الحديث: دخل على أبي سلمة.

فصل

(العبد فقير إلى الله في ما يصلحه ويقصده)

فالعبد كما أنه فقير إلى الله دائماً في إعانته، وإجابة دعوته، وإعطائه سؤاله، وقضاء حوائجه، فهو فقير إليه في أن يعلم ما يصلحه وما هو الذي يقصده ويريده، وهذا هو الأمر والنهي والشرعية، وإلا فإذا قضيت حاجته التي طلبها وأرادها ولم تكن مصلحة له، كان ذلك ضرراً عليه، وإن كان في الحال له فيه لذة ومنفعة، فالاعتبار بالمنفعة الخالصة أو الراجعة.

وهذا قد عرّفه الله عباده برسله وكتبه، علموهم وزكّوهم وأمروهم بما ينفعهم ونهّوهم عما يضرهم، وبينوا لهم أن مطلوبهم ومقصودهم ومعبودهم يجب أن يكون هو الله وحده لا شريك له، كما أنه هو ربهم وخالقهم، وأنهم إن تركوا عبادته أو أشركوا به غيره خسروا خسراناً مبيناً، وضلوا ضلالاً بعيداً، وكان ما أوتوه من قوة ومعرفة [وجاه]^(١) ومال وغير ذلك، وإن كانوا فيه فقراء إلى الله مستعينين به عليه، مقرين بربوبيته؛ فإنه ضرر عليهم ولهم بئس المصير وسوء الدار، وهذا هو الذي تعلّق به الأمر الديني الشرعي والإرادة الدينية الشرعية، كما تعلّق بالأول الأمر الكوني القدري والإرادة الكونية القدرية، والله سبحانه قد أنعم على المؤمنين

(١) في (ب) ورجاه. وهو خطأ.

بالإعانة والهداية، فإنه يبين لهم هداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأعانهم على اتباع ذلك علماً وعملاً، كما مَنْ عليهم وعلى سائر الخلق بأن خلقهم ورزقهم وعافاهم، وَمَنْ على أكثر الخلق بأن عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم إليه، وأعطاهم سؤالهم وأجاب دعاءهم، قال تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن/٢٩]. فكل أهل السموات والأرض [يسألونه]^(١)، فصارت الدرجات أربعة:

قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه [وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم.

وقوم استعانوه فأعانهم ولم يعبدوه.

وقوم طلبوا عبادته وطاعته ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه]^(٢).

والصنف الرابع الذين عبدوه واستعانوه فأعانهم على عبادته وطاعته، وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد بين سبحانه ما خص به المؤمنين [في]^(٣) قوله: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في

(١) في (ب) يسأله.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب) وهو في (أ) و (ف).

(٣) في المخطوطتين (من). وما أثبتته من (ف) وهو أصح.

قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴿٧﴾
[الحجرات / ٧].

[آخر قاعدة التوحيد والحمد لله رب العالمين]^(١).



(١) جاء في (ب): تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، صلى الله على محمد وآله ورضي عن أصحابه أجمعين. وكتب في آخرها: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأصل بحسب الطاقة والإمكان سنة ١٣٣٧هـ.

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار
- ٣ - فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

رقمها	رقم الصحيفة	الآية
		سورة الفاتحة :
١	٦٦	الحمد لله رب العالمين
٥	٥٢، ٣١، ٢٨	إياك نعبد وإياك نستعين
		سورة البقرة :
١٠٢	٨٦	وما هم بضارين به من أحد
١١٦	٨٧	وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه
١٢٦	٤٧	رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله
١٨٦	٩١	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
٢٥٥	٣٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم
٢٥٥	٨٦	من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
٢٨٦	٣٧	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
٢٨٦	٣٧	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
		سورة آل عمران :
٢٦	٢٧	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
٦١	٩٢	فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
٨٣	٨٨	أفغير دين الله يبغون وله أسلم
٨٣	٨٧	وله أسلم من في السموات

٨٤	١٢٠	إن تمسسكم حسنة تسؤهم
٦٦	١٤٧	ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا
٧٨	١٦٠	قل هو من عند أنفسكم
٧٢	١٦٥	أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم
٧٦	١٩١	ويتفكرون في خلق السموات والأرض
		سورة النساء :
٧٢	٧٩	ما أصابك من حسنة فمن الله
٧٨	٧٩	وما أصابك من سيئة فمن نفسك
٥٦	١٠٢	فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم
		سورة الأنعام :
٣٥	٧٦	لا أحب الأفلين
		سورة الأعراف :
٦٦	٢٣	ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
٩٢	٥٥	ادعوا ربكم تضرعاً وخفية
٩٢	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
		سورة الأنفال :
٩٢	١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
٩٢	٣٢	وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق
		سورة التوبة :
٣٦	١٢٠	ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
		سورة يونس :
٩٢	١١	ولو يعجل الله للناس الشراستعجالهم
٩١	١٢	وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه

٧٢	١٠٧	وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو سورة هود :
٧٨	٢٠	ما كانوا يستطيعون السمع وما توفقي إلا بالله عليه توكلت فاعبده وتوكل عليه سورة يوسف :
٦٠	٨٨	
٦٠، ٣٢، ٢٨	١٢٣	
٩٠	١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون سورة الرعد :
٨٨-٨٧	١٥	ولله يسجد من في السموات والأرض عليه توكلت وإليه متاب وهم يكفرون بالرحمن قل هوربي كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من سورة الحجر :
٣٢	٣٠	
٦٧	٣٠	
٦٠	٣٠	
٨٧	٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق سورة النحل :
٧٦	٨٥	
٢٧	٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله سورة الإسراء :
٨٧	١	سبحان الذي أسرى بعبده ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير قل ادعوا الذين زعمتم من دونه سورة مريم :
٩٢-٩١	١١	
٢٨	٥٧، ٥٦	
٣٧	٦٥	فاعبده واصطبر لعبادته

٤٤، ٤٣	٨٢، ٨١	واتخذوا من دون الله آلهة
٨٧	٩٣	إن كل من في السموات والأرض إلا
		سورة الأنبياء :
٣٤	٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
٨٦	٢٨	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى
		سورة الفرقان :
٣٢، ٢٨	٥٨	وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح
٨٧	٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
		سورة الشعراء :
٧٨	٨٠	وإذا مرضت فهو يشفين
		سورة النمل :
٧٦	٨٨	صنع الله الذي أتقن كل شيء
٦٦		سورة القصص :
٤٧	١٦	رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي
٢٨	٥٧	أولم نمكن لهم حرماً آمناً
٨٤	٨٨	ولا تدع مع الله إلهاً آخر
		سورة الروم :
٨٤	٣٦	وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم
		سورة السجدة :
٧٦	٧	الذي أحسن كل شيء خلقه
		سورة سبأ :
٢٨	٢٣، ٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله

		سورة فاطر:
٧٢-٧١	٢	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
		سورة يس:
٧٩-٧٨	٦٢	أفلم تكونوا تعقلون
		سورة الصافات:
٧٩ ٧٠، ٦٩		إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على
٨٧	٤٤	نعم العبد إنه أواب
٨٧	٤٥	واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب
٨٧	٨٣	إلا عبادك منهم المخلصين
		سورة الزمر:
٧٢، ٢٨	٣٨	قل أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني
		سورة الزخرف:
٨٧	٦٨	يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
		سورة الشورى:
٢٨	١٠	عليه توكلت وإليه أنيب
		سورة محمد:
٢٨	١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك
		سورة الحجرات:
٩٥-٩٤	٧	حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم
		سورة الطور:
٨٠	٣٥	أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
		سورة النجم:
٨٧	١٠	فأوحى إلى عبده ما أوحى

٦٥	٢٣	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس سورة الرحمن :
٩٤	٢٩	يسأله من في السموات والأرض سورة الممتحنة :
٦٠، ٣٢	٤	ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير سورة التغابن :
٢٨	١	يسبح الله ما في السموات وما في الأرض سورة الطلاق :
٣٧	٧	لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سورة الملك :
٤٧	٢١، ٢٠	أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم سورة نوح :
٦٦	٢٨	رب اغفر لي ولوالدي سورة الجن :
٨٧	١٩	وأنه لما قام عبد الله يدعوه سورة المزمل :
٣٢	٩، ٨	وتبتل إليه تبتلاً. رب المشرق سورة الإنسان
٨٧	٦	عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها
٤٦	٩	إنما نطعمكم لوجه الله سورة المطففين :
٣٩	١٦، ١٥	كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم

سورة الليل :

٤٦ ٢١، ١٧

وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله

سورة العلق :

٥٦ ١

اقرأ باسم ربك الذي خلق

٥٦ ١٩

واسجد واقترب

سورة البينة :

٢٩ ٥

وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين

سورة قريش :

٤٧ ٤، ٣

فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم

فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصحيفة	الحديث
	حرف الألف:
٣٣	أتدري ما حق الله على عباده؟
٣٦	أجرك على قدر نصيبك
٣٧	أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى
٣٨	إن يوم المزيد وهو يوم الجمعة (أثر)
٣٨	إذا دخل أهل الجنة نادى مناد: يا أهل
٤١	أحب من شئت فإنك مفارقه (أثر)
٤٨	اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك
٥٨	إن الله أنزل مائة كتاب (أثر)
٦١	اللهم منك ولك
٦١	اللهم لك أسلمت وبك آمنت
٧٢	اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت
٧٥	آمنت بالقدر خيره وشره
٧٨	وإن يكن خطاً فمني ومن الشيطان (أثر)
	حرف الباء:
٥٤	بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع
	حرف التاء:
٥١-٥٠	تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار

حرف الدال :

٤٣

الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

حرف القاف :

٥٩-٥٨،٥٤

قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين

حرف الكاف :

٧٦

كان النبي ﷺ يعلم من قص عليه أخوه رؤيا

٨٤

كان النبي ﷺ يعلمهم في خطبة الحاجة

حرف اللام :

٥٨-٥٧

لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل

٧٢

ليبك وسعديك والخيرين يديك

٧٥

لو أنفقت مثل الأرض ذهباً لما قبله منك

٩٢

لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة

حرف الميم :

٥٧

مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير

٨٥

ما من خلق آدم إلى قيام الساعة

حرف الهاء :

٤٧

هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم

حرف الياء :

٩٠

يا حصين كم إلهاً تعبد، قال: سبعة

٣٣

يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المحقق	٥
بداية النص المحقق	٢٧
مقدمة في حاجة الجميع إلى الله	٣٠
الوجه الأول	٣١
معنى الألوهية	٣١
الوجه الثاني	٣٢
حاجة العبد إلى عبادة الله	٣٤
الوجه الثالث	٤٠
الوجه الرابع	٤١
الوجه الخامس	٤٣
الوجه السادس	٤٤
الوجه السابع	٤٦
الوجه الثامن	٤٦
الوجه التاسع	٤٧
فصل	٤٨
فصل وهو مثل المقدمة لهذا الذي أمامه	٤٩
فصل في الفاتحة	٥٤
فصل في الفاتحة	٥٦

٦٢ الإنسان بين العبادة والاستعانة
٦٢ قسم يغلب عليه التأله
٦٣ قسم يغلب عليه الاستعانة والتوكل
٦٥ قسم معرض عن الواجبين العبادة والاستعانة
٦٦ فصل (في معنى الحمد لله رب العالمين)
 فصل (إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد
٦٨ الإلهية)
٧٠ فصل (الإنسان وجميع المخلوقات عبيد لله)
٧٢ الإنسان ليس له من نفسه خير أصلاً
٧٣ الشر إما موجود وإما معدوم
٧٣ الشر لا ينسب إلى الله
٧٧ لم يخلق الله شيئاً إلا لحكمة
٧٩ الشر الذي سببه الوجود
٨١ اختلاف الأصوليين في العلة الشرعية
٨٦ فصل (العبد وكل مخلوق فقير إلى الله)
٩٠ أنواع سؤال العبد ربه
٩٣ فصل (العبد فقير إلى الله فيما يصلحه ويقصده)
٩٧ الفهارس